أسّس الأب لويس خليفة (†)
جريدة بيبليا سنة ١٩٩٠
وحُوِّلت إلى **مجلّة بيبليا** سنة ١٩٩٩

في هذا العدد

الافتتاحيّة:

الكتاب المقدّس والقرآن: تواصل وتقاطع أم انفصال وانقطاع؟ ..... رئيس التحرير ٢
آدم بين الكتاب المقدَّس والقرآن ..... الخوراسقف يوسف فخري ٥
قصّة يوسف في سفر التكوين والسورة القرآنيّة ..... المطران أنطوان أودو ١٧
خطيئة داود وتوبته في التقاليد التوحيديَّة ..... المونسنيور بولس الفغالي ٢٥
"المسيح" في القرآن. ملخّص أفكار جويتن وزكرياس وسيبيل ..... الأب بيتر حنّا مدروس ٣٥
يسوع وعيسى في الإنجيل والقرآن ..... الشدياق فؤاد فهد ٤١
قراءة مسيحيّة لمريم في الإسلام ..... الأب مارون عوده ٥٣
بولس يعرف أقوالَ يسوع وينقلُها بأمانة
مقارنة بين كورنتوس الأولى والأناجيل ..... الأب أيوب شهوان ٦١

العنوان

كلّيّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص ب ٤٤٦ جونيه – لبنان
هاتف: ٠٩/ ٦٠٠ ٠٠٠
فاكس: ٠٩/٦٠٠ ١٠٠
البريد الإلكترونيّ: olmpac@hotmail.com
ayoubchahwan@usek.edu.lb
mimigerges@usek.edu.lb

ثمن العدد

في لبنان: ٧٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج: ١٠٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنويّ (٤ أعداد)

في لبنان: ٣٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج: ٤٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

طباعة
Daccache Printing House s.a.r.l
عمشيت – لبنان

رئيس التحرير:
الأب أيّوب شهوان

هيئة التحرير:
الأب أيّوب شهوان
الخوراسقف بولس الفغالي
الأخت باسمة الخوري
د. دانيال عيّوش
الأخت روز أبي عاد

أسرة التحرير:
الأخت روز أبي عاد
د. نقولا أبو مراد
المطران نقولا أنتيبا
الأب سمير بشاره
الأب جوزف بو رعد
الأم كليمنص حلو
الأب ميلاد الجاويش
الأب أسعد جوهر
الخوري وسام حدّاد
الأرشمندريت جاك خليل
الأب جورج خوّام
الخوري نعمة الله الخوري
الأب لويس الخوند
القسّ عيسى دياب
الأب أندره رزق الله
الأخت دولّي شعيا
الأب نجم شهوان
الخوري ميشال صقر
الخوري جان عزّام
د. جوني عواد
الأب أنطوان عوكر
القسّ هادي غنطوس
المونسنيور يوسف فخري
الأخت ياره متّى
الأب هادي محفوظ
الخوراسقف أنطوان مخائيل
المطران بطرس مراياتي
الأب بيار نجم
الخوري جوزف نفّاع
الأب ريمون الهاشم

ISSN 1992-2094

جميع الحقوق محفوظة
مركز النشر والتوزيع
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص ب ٤٤٦ جونيه – لبنان
هاتف: ٠٩/ ٦٠٠ ٠٠٠
فاكس: ٠٩/٦٠٠ ١٠٠

الافتتاحيّة

الكتاب المقدّس والقرآن
تواصل وتقاطع أم انفصال وانقطاع؟

رئيس التحرير

مقدّمة

تثير الرغبة النبيلة والواضحة في التحاور الدينيّ والإنسانيّ، والتلاقي الفكريّ والتحليليّ، بين العديد من المسيحيّين والمسلمين موجات متكرّرة من التفاؤل الذي يوفّر موجاتٍ مقابلةً من الشعور بالأمان والاطمئنان والسلام، لكن سرعان ما تتقلّص وتتراجع لتصبح صدًى خافتًا يتبدّد رويدًا رويدًا من الآذان والأذهان، والسبب في ذلك هو المحاورون الذين لا يرمون الشبكة إلى العمق، بل يكتفون بإبراز النقاط المشتركة والمتشابهة التي لا تثير أيّة حساسيّات، ولا تحرّك أيّة مشاعر سلبيّة، ولا تؤدّي إلى ردّات فعل قد تسبّب في وقْفِ ما يُدعى حوارًا.

إنّ مجرّد الكلام على حوار يعني بالفعل ذاته وجود فروقات، الأمر الذي يحتّم، ولهدف عملانيّ سليم، الاعترافَ بها، وأَخْذَها على محمل الجدّ، والدخولَ في كنهها، والتبصّرَ في معانيها، وتبيُّنَ أبعادها. من غير المفيد الاكتفاء بإظهار ما يجمع، والإعراض عمّا يفرّق. لذلك لا بدّ من استعراض بعض الإعلانات التي تتّصف بالرغبة الصادقة في الانفتاح على الآخَر، والتي تنطلق من إرادة حسنة ونوايا طيّبة، والتي، بالمقابل، لا تُقارِب الأمور العقائديّة، بل تتحاشاها، لأنّها، بنظر أصحاب هذه الرغبة وهذه الإرادة وهذه النوايا، ستؤدّي حتمًا إلى التباعد والتنافر بدلاً من التواصل والتقارب، وبالتالي يُفضّل تجنُّب الكلام عليها والمجادلة فيها.

على سبيل المثال، لا الحصر، نورد بعض الأمثلة الشائعة عن هذه الإعلانات:

١) هل إنّ ما يقرّب بين الديانات التوحيديّة وكُتُبِها المقدّسة هو أولى بالاهتمام ممّا يفرّق؟

بالطبع، يتّفق اليهود والمسيحيّون والمسلمون، أقلّه نظريًّا، على اعتبار الديانات اليهوديّة والمسيحيّة والإسلاميّة توحيديّة، لأنّ كتبها المقدّسة، العهدَين القديم والجديد والقرآن، تتضمّن الاعتراف بالله الواحد الأحد. لكن، مَن قال إنّ الكلام على النظرة المشتركة إلى التوحيد يعني بالفعل مفاهيمَ واحدةً حول الموضوع؟!! بالتأكيد هو ليس التوحيد ذاته، إذ إنّه في العهد الجديد

ثالوثيّ، وكذلك بالطبع في العقيدة المسيحيّة، وهو في القرآن وحدانيّ، وكذلك بالطبع في العقيدة الإسلاميّة. بالنسبة إلى المسيحيّين، لا تمسُّ عقيدةُ الثالوث الإيمانَ بإلهٍ واحد، بينما في نظر المسلمين، على العكس من ذلك، تشكّل عقيدة الثالوث اختلافًا جوهريًّا مع المسيحيّة التي تعترف بيسوع ربًّا وإلهًا.

إذًا، عندما يعلن الاثنان، المسيحيّة والإسلام، وعلى أساس المعطيّات الإنجيليّة، من جهة، والقرآنيّة، من جهة ثانية، أنْ لا إله إلاّ الله الواحد، فهذا لا يعني اعترافًا واحدًا؛ فالمسيحيّ الذي يعلن أنّ ديانته توحيديّة، لا يلغي اعترافه بأنّ الله الآب قد أرسل ابنه يسوع المسيح ليخلّص العالم، وأنّ الابن أرسل الروحَ القدس ليواكب الكنيسة في مسيرتها على مرّ العصور؛ والمسلم الذي يعلن أنّ ديانته توحيديّة لا يمكن أن يقبل بأيّ شريك لله في ألوهته الواحدة الوحيدة. بالتالي، ليس الجوهريُّ عند الفريقين هو ذاته.

٢) هل القرآن والإسلام هما في خطّ التواصل مع الديانتين اليهوديّة والمسيحيّة؟

ونطرح هنا السؤال: هل القرآن هو فعلاً على تواصل مع الوحي بمعناه البيبليّ؟

إنّ من يتصفّح القرآن يتبيّن وجود أسماء شخصيّات بيبليّة عدّة فيه، كآدم، ونوح، وإبراهيم، ويوسف، وموسى، ويسوع، ومريم، والحواريّين، وغيرهم. أضف إلى ذلك إيمان المسلمين، وانطلاقًا بالطبع من القرآن، بأنبياء الكتاب المقدّس، وبالملائكة. لكن ينبغي التوضيح فورًا أنّ اليهود والمسيحيّين والمسلمين يعطون تفاسير متمايزة الواحد عن الآخر للشخصيّات المشتركة عينها، كما أيضًا وعامّة للمعطيات التاريخيّة البيبليّة والقرآنيّة التي هي ظاهريًّا متشابهة، ولكنّ هذا التشابه، أو لِنَقُلْ هذا التواصل ما هو إلاّ ظاهريّ، لأنّ المضمون العقائديّ مختلف.

نعطي مثالاً على ذلك، اعتبار المسلمين ليسوع ولمريم أنّهما منهم ومن خاصّتهم، كونهما مذكورين في القرآن، لكنّ ما يتعلّق بجوهرهما، من وجهة نظر مسيحيّة، هو ليس على تواصل إطلاقًا، إلاّ جزئيًّا وبشكل محدود، بل على تمايُز واضح. لقد فسّر المسلمون ذكْر يسوع ومريم في القرآن بطريقة أبرزوا من خلالها الإسلام بأنّه على تواصل مع ما سبق ومع شخصيّات بيبليّة عديدة.

ولكن، هل هذا التواصل هو حقيقيّ؟

هل اليهوديّة والمسيحيّة هما ديانتان إسلاميّتان قبْل الحرْف، وبالتالي هما قرآنيّتان قبل القرآن؟

هناك فرق حقيقيّ وواقعيّ بين اليهوديّة والمسيحيّة، من جهة، والإسلام، من جهة ثانية؛ بين العهدين القديم والجديد، من جهة، والقرآن، من جهة ثانية. لا مفرّ لنا جميعًا من هذا التوضيح وهذا التمييز. باستطاعتنا الكلام بوضوح صريح عن يسوع ومريم بحسب العهد الجديد، وخاصّة الأناجيل، كما عن يسوع ومريم بحسب القرآن؛ وإذا لم نفعل فهناك الالتباس في المفاهيم، والفوضى في الآراء، وضياع الحقيقة، الأمر الذي ينسف أيّ حوار حقيقيّ وبنّاء.

هذا ما يسمح لنا بأن نؤكّد أنّ الإسلام، وبالرغم من بعض التشابه هنا وهناك بين العهدين القديم والجديد، من جهة، والقرآن، من جهة ثانية، بين الديانتين اليهوديّة والمسيحيّة، من جهة، والإسلام، من جهة ثانية، هو ليس على خطى الديانتَين السابقتَين، ولا على تواصل فعليّ معهما. والقرآن بالذات هو ليس على خطى الكتب المقدّسة اليهوديّة والمسيحيّة، ولا على تواصل فعليّ معهما.

٣) هل ندعُ إذًا الأمور العقائديّة لذوي الاختصاص وللكفوئين وللمتبحّرين؟

قد يكون الردّ على هذا السؤال بالإيجاب طبيعيًّا

وعقلانيًّا ومنطقيًّا؛ لكنّ هذا السؤال وأمثاله تفرض ذاتها في أيّ لقاء، بين يهود ومسيحيّين ومسلمين، بالتالي لا مجال لِتجنُّبها أو لِترْكِها دون معالجة.

عندما نتكلّم على ذوي الاختصاص، يتبادر إلى الذهن كمٌّ من التساؤلات، أهمّها هو التالي:

هل نجد بين المسلمين أخصّائيّين في العهد القديم أو الجديد، أو الاثنين معًا؟

هل هناك بين المسلمين أخصّائيّون في العقائد الدينيّة اليهوديّة أو المسيحيّة؟

قد يكون هناك أحدٌ ما، ولكنّ الأمر مُستبعدٌ إلى حدٍّ كبير.

بالمقابل نجد بين المسيحيّين العديد من المتخصّصين في الإسلام وفي القرآن، لا بل يُدرَّس القرآن والإسلام، ولو بشكل غير معمّق، في كلّيّات اللاهوت الخاصّة والحبريّة؛ أضف إلى ذلك وجود "معهد الدراسات العربيّة والإسلاميّة الحبريّ" التابع للكرسيّ الرسوليّ في روما، المتخصّص في الدراسات العربيّة والإسلاميّة؛ هذا ما لا نجد له مثيلاً عند المسلمين من أجل التخصّص في اليهوديّة أو المسيحيّة، ودراسة كتب هاتين الديانتين المقدّسة دراسة علميّة أكاديميّة معمّقة. بالطبع، نصادف من يستشهد من المسلمين بآيةٍ أو بنصّ من الكتب اليهوديّة أو المسيحيّة المقدّسة في دراسة أو مقال أو محاضرة، لكنّ الأمر يبقى جزئيًّا جدًّا ومجتزءًا إلى حدّ كبير.

إنّ معظم الأخصّائيّين في الإسلاميّات ليسوا لاهوتيّين، كما أنّ معظم اللاهوتيّين ليسوا أخصّائيّين في الإسلاميّات؛ لذلك تتطلّب دراسة العقائد الدينيّة الكفاءات العلميّة الجدّيّة. لذا، نعيد طرح السؤال:

هل يمكن السير باقتراح أو بمقولة ترك الأمور العقائديّة لذوي الاختصاص؟!

خاتمة

تبقى الرغبة الصادقة في تنشيط الحوار اليهوديّ–المسيحيّ–الإسلاميّ همًّا حقيقيًّا، كم نتمنّى أن ينطلق أوّلاً من توضيح الالتباسات والغموض وسوء الفهم، وأن يتركّز على درس النصوص البيبليّة والقرآنيّة وفق نهج علميّ عقلانيّ يؤدّي إلى المبتغى النبيل الذي يسعى إليه ذوو الإرادة الحسنة ليسير بطريقة فاعلة وبنّاءة وخيّرة!

هذا ما يرمي إليه طرح بعض النماذج من الأسئلة التي يشكّل الردّ عليها إسهامًا لا غنى عنه في رسم مسار كم نودّ أن نراه يوصلنا إلى ما فيه سعادة الإنسان وخيره وسلامه!

آدم
بين الكتاب المقدَّس والقرآن

الخوراسقف يوسف فخري
مُدَرِّس الكتاب المقدَّس
واللغات الكتابيَّة القديمة

مقدِّمة

يتَحَدَّث القرآن عن وُجُوهٍ عديدةٍ من الشخصيّات الكتابيَّة، فَيُسَمِّي أصحابَها تارةً مُبَشِّرين ومُنذرين[١] وطورًا أنبياءَ ومُرسَلين[٢]! لكن قَبلَ توضيح هذه المصطلحات القُرآنيَّة، لا بُدَّ لنا من مَعرفةِ العبارتين الأساسيَّتَين: النبيّ والرسول في المفهوم الإسلاميّ والفَرق بينهما ! ألنبيُّ: يَأتيه الوحيُ من الله، ولكنَّهُ غير مُكلَّف بالدَعوَةِ إلى الله، فهو فقط رجل صالح في مَكانَةِ الأنبياء، واصطفاهُ الله من بين عِبَادِه ليكون كذلك. أمَّا الرسول فهو نَبِيٌّ أوَّلاً، ثُمّ أنَّه مُكَلَّفٌ من قِبَلِ الله بأن يدعو الناسَ إلى الإيمان بِهِ. الرسولُ يُمكن مناداته بنَبِيٍّ أو رسول، أمَّا النَبِيُّ فلا يجوز أن يُطلَقَ عليه اسمُ رسول!

قال علماء الإسلام، يقول القرآن: "ومَنْ يَكفُر باللهِ وملائكتِه وكُتُبِه ورُسُلِه واليومِ الآخرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا" (ألنساء، ١٣٦). والمراد بالرسالة هنا ما يَعُمُّ النبوءة، ذلك لأنّ الرسلَ كُلَّهُم أنبياء، ولكن ليس كلُّ الأنبياءِ رُسُلاً، لأنَّ الرسولَ هو نبيٌّ أوحَى اللهُ إليه بِشَرْعٍ جديدٍ أي أحكامٍ جديدةٍ يُعَلِّمُها للَّذين أُرسِلَ إليهم، أمَّا النَبِيُّ فهو الذي أُوحِيَ إليه أن يعمل بِشَرعِ الرسولِ الذي كان قَبْلَهُ ولم يُوحَ إليه بِشَرعٍ جديدٍ.

ذَكَرَ القرآنُ خمسةً وعشرين نبيًّا ورسولاً[٣]، فذَكَرَ في مواضِعَ مُتَفَرِّقة آدم[٤] وهودًا[٥] وصالحًا[٦]

(١) "كان الناس أُمَّة واحدة فبعث الله النَّبيّين مبشِّرين ومُنذرين، وأنزل معهم الكِتَبَ بالحقّ ليَحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه..." (البقرة، ٢١٣).

(٢) "أولئك الذين أنعم عليهم من النبيّين من ذرّيّة آدم... " (مريم، ٥٨).

(٣) أسماء الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن: أوّلاً، شبه جزيرة العرب، وبَعَثَ فيها: آدم، هود، صالح، إسماعيل، شُعيب، محمد. ثانيًا، أرض العراق، وبَعَثَ فيها: إدريس، نوح، إبراهيم، يونس. ثالثًا، بلاد الشام وفلسطين، وبَعَثَ فيها: لوط، إسحاق، يعقوب، أيوب، ذو الكفل، داود، سليمان، إلياس، اليسع، زكريا، يحيى، عيسى. رابعًا، مصر، وبَعَثَ فيها: يوسف، موسى، هارون.

(٤) أبو البشريّة. "إنّ اللّهَ اصْطَفَىَ آدَمَ..." (آل عمران: ٣٣).

(٥) هو هود بن صالح بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشالح بن آخنوخ (إدريس) بن يارد بن مهلئيل بن قينان بن آنوش بن شيث بن آدم. نبيّ أرسله الله إلى قبيلة عاد. ولقد كانت مساكن عاد في أرض الأحقاف، من جنوب شبه الجزيرة العربيّة. والأحقاف شمال حضرموت، وشمال الأحقاف الربع الخالي، وفي شرقها عُمان. وموضع بلادهم اليوم رمال قاحلة، لا أنيس فيها ولا ديار. "وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ" (هود، ٥٠).

(٦) هو النبيّ صالح بن عبيد بن أسف بن ماشخ بن عبيد بن صالح بن جابر بن ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح. أرسله الله إلى قوم ثمود – قبيلة من القبائل العربيّة البائدة، المتفرّعة من أولاد سام بن نوح، وهي قبيلة ثمود، وسمّيت بذلك نسبة إلى أحد أجدادها، وهو: ثمود بن عامر بن إرم بن سام

وشُعيبًا[٧] وإسماعيل وإدريس وذا الكفل[٨] ومحمدًا[٩]. وذكر ثمانية عشر منهم في مَوضِعٍ واحدٍ[١٠]، بينهم خمسة سُمُّوا قَبلَ أن يُولَدُوا: إسحق، يعقوب[١١]، يحيَى[١٢]، عيسى[١٣]، محمَّد[١٤]. وإليكم لائحة باسماءِ الأنبياء والرسل حسب الترتيب الزمنيّ ومُدَّة حياتهم وفترة تبشيرهم كما وردت في القرآن والتقليد الإسلاميّ:

الترتيب الزمنيّ	الإسم	نبيّ	رسول	مدّة حياته تقريبًا	الفترة الزمنيّة التي أُرسل فيها
١	**آدم**	X		١٠٠٠ أو ٩٥٠ سنة	–
٢	**إدريس (أخنوخ)**	X		٨٣ سنة	–
٣	**نوح**	X	X	٩٥٠ سنة أو أكثر	٣٩٠٠ : ٢٩٠٠ ق. م.
٤	**هود**	X	X	١٥٠ سنة	٢٥٠٠ : ٢٢٠٠ ق. م.
٥	**صالح**	X	X	٥٨ سنة	٢٠٠٠ : ١٩٠٠ ق. م.
٦	**إبراهيم**	X	X	١٧٥ سنة	١٨٦١ : ١٦٨٦ ق. م.
٧	**لوط**	X	X	١٧٥ سنة	١٨٦١ : ١٦٨٦ ق. م.
٨	**إسماعيل**	X	X	١٤٣ أو ١٢٠ سنة	١٧٨١ : ١٦٣٨ ق. م.
٩	**إسحق**	X		١٨٠ أو ١٧٨ سنة	١٧٦١ : ١٥٨١ ق. م.

بن نوح. وصالح من هذه القبيلة، ويتصل نسبه بثمود – وكانوا قومًا جاحدين آتاهم الله رزقًا كثيرًا ولكنّهم عصوا ربّهم وعبدوا الأصنام وتفاخروا بينهم بقوّتهم فبَعَثَ الله إليهم صالحًا مبشّرًا ومنذرًا ولكنّهم كذّبوه وعصوه وطالبوه بأن يأتي بآية ليُصَدِّقوه: "وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ..." (هود، ٦١).

(٧) شُعيب هو نبيّ الله إلى شعب مِديَن، قال عنه محمد: "ذاك خطيب الأنبياء"، يُقال أنّه ابن ميكيل بن يشجن، يُقال أنّ جدته أو أُمّه هي بنت لوط، والثابت هو أنّه من مِديَن الواقعة في أطراف الشام. في منطقة وادي شعيب في الأردن، يُعتقد أنّه عاش ٢٤٢ سنة. سُمّي شعيبًا لأنّ والده لمّا رزقه كان يدعو لربّه: إلهي وسيّدي، إنّك قد أكثرت عليّ الشعوب والقبائل بأرض مِدين، فبارك لي في شعبي هذا "يعني ولده"، فرأى في منامه "أنّ الله بارك لك في شعبك هذا"، ومن هنا جاء الاسم تصغيرًا لكلمة شعب العربيّة. كذلك جاء ذكر النبيّ شُعيب في سفر الخروج (שמות) الفصل الثاني، ولكن دعي باسم آخر هو **يترو יתרו أو يترون، יתרון**، وهو كاهن مدين وحمي موسى: "وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ..." (هود ٨٤).

(٨) إدريسُ هو أخنوخ المذكور في سفر التكوين. أمّا ذو الكفل، فيعتقد العديد من الباحثين والمؤرّخين أنّه هو نفسه **النبيّ حزقيال** (יְחֶזְקֵאל) **الذي** سُبي إلى العراق سنة ٥٩٧ ق. م. يعتقد المسلمون أنّه مقبور في بلدة الكفل التي هي بلدة عراقيّة تقع بين بابل والنجف وكربلاء جنوب العراق قرب نهر الفرات. يوجد فيها قبر يعتقد أنّه قبر النبيّ حزقيال (ذو الكفل) ولهذا سمّيت البلدة بالكفل: "وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ" (الأنبياء، ٨٥).

(٩) "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ..." (الفتح، ٢٩).

(١٠) "وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (الأنعام: ٨٣–٨٦).

(١١) "وَامْرَأَتُهُ (**إمرأة إبراهيم**) قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ" (هود، ٧١).

(١٢) هو القدّيس يوحنّا المعمدان: "يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى" (مريم، ٧).

(١٣) هو الربّ يسوع المسيح: "إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" (آل عمران، ٤٥).

(١٤) "... وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ" (الصف، ٦).

١٠	يعقوب	X		١٤٧ سنة	١٨٠٠ : ١٦٥٣ ق. م.
١١	يوسف	X		١١٠ سنة	١٦١٠ : ١٥٠٠ ق. م.
١٢	شُعيب (يترو كاهن مِديَن)	X	X	–	ما بين القرنين ١٦، ١٥ ق. م.
١٣	أيوب	X		٩٢ سنة	ما بين القرنين ١٦، ١٥ ق. م.
١٤	ذو الكفل (النبيّ حزقيال)	X		٧٥ سنة	ما بين القرنين ١٦، ١٥ ق. م.
١٥	موسى	X	X	١٢٠ سنة	١٤٦٣ : ١٣١٦ ق. م.
١٦	هارون	X		١٢٢ سنة	١٤٣٩ : ١٣١٧ ق. م.
١٧	داود	X		٧٠ سنة	١٠٤٢ : ٩٧٢ ق. م.
١٨	سليمان	X		٥٣ سنة	٩٨٥ : ٩٣٢ ق. م.
١٩	إلياس (مار إلياس النبيّ)	X	X	–	حوالى القرن ٩ ق. م.
٢٠	إليساع (مار إليشاع النبيّ)	X		–	حوالى القرن ٩ ق. م.
٢١	يونس (النبيّ يونان)	X	X	–	حوالى القرن ٨ ق. م.
٢٢	زكريّا (الكاهن والد المعمدان)	X		١٢٠ سنة	١٠٠ : ٢٠ ق. م.
٢٣	يحيا (مار يوحنّا المعمدان)	X		٣٠ سنة	١ : ٣٠ ق. م.
٢٤	عيسى (المسيح يسوع)	X	X	٣٣ سنة	١ : ٣٣ ق. م.
٢٥	محمَّد	X	X	٦٣ سنة	١ : ٣٣ ق. م.

هؤلاء جميعًا يَعتَبِرُهُم القرآنُ مُسلِمين[١٥] إعتَنَقُوا الإسلامَ قَبلَ الإسلام! حَتىَّ بَلقيس ملكةُ سَبأ التي زَارَت الملك سليمان، أَعلَنَتْ إسلامَها[١٦]. ولقد أيَّدَهُم الله بالمعجزات والآيات ليُثَبِّتَ صِحَّةَ دَعوَتِهم ورسالتِهم ولتُؤمِنَ على أيديهم الشعوب، ولكنَّهم كُوفِئوا بالرَفض والقتل[١٧]. سَمَّاهُم القرآن رُسلاً وأنبياء[١٨]، في حين أنَّ البيبليا لا تُطلِقُ لقبَ "نَبيٍّ"، profhthj، aybn، إلاَّ على أشخاص مُحَدَّدين لَعِبوا دورًا رائدًا في تاريخ الخلاص وهَيَّأوا لمجيء المسيح يسوع. فالنبيُّ، بحسب المفهوم البيبليّ، هو قبل كلِّ شيءٍ، إنسانٌ يَتَكَلَّم باسم الله.

هو صوتٌ صارخٌ أمامَ الله في بَرِّيَّة العالم، يُهَيِّئُ له الطريق. إنَّه ترجمان الله ورسوله لدى الشعوب. يرى ما لا يراه الناس، لأنَّه ينظر إلى الأمور بعين الله. هو إنسان حَلَّ عليهِ روحُ الربِّ فاتَّحَدَ بالرَبِّ اتِّحَادًا حَميمًا. ورسالة النبيَّ البيبليّ لها وجهان: وجه يتعلَّق بالحاضر (أي في زمن رسالته)، ووجه يتعلّق بالمستقبل؛ فالنَبِيُّ هو صوت الله في ضمائر البشر! يُصلِحُ الأخطاءَ، ويشدِّد على

(١٥) "إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ (أي إبراهيم) أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" (البقرة، ١٣١ و١٣٢).

(١٦) "... وَأَسْلَمْتُ (بلقيس ملكة سبأ) مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (النمل، ٤٤).

(١٧) "قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"(البقرة، ٩١).

(١٨) في البيبليا يوجد أربعة أنبياء كبار وهم: أشعيا، إرميا، حزقيال ودانيال، كما يوجد إثنا عشر نبيّ صغير وهم: هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجّاي، زكريّا وملاخي. ويُطلق لقب نبيّ أيضًا على: إبراهيم، هارون، موسى، صموئيل، جاد، ناتان، إيليّا، أليشاع....

الأمانة لعهد الربِّ، ويدافع عن المظلومين والبائسين، ويدعو إلى التوبة الحقيقيّة، ويَنظُرُ إلى المستقبل نظرة رجاء وخلاص، فيُعَزِّي الشعبَ ويُشَجِّعُه، ويطلب منه أن يَتَطَلَّعَ إلى المسيح المُنتظر الذي سيأتي ويُحقِّق مواعيد الله لشعبه ويخلِّصه. أمَّا لقب "رسول"، apostoloj[١٩] فلا يَرِد في العهد القديم إطلاقًا، بل أُطلِق في العهد الجديد على يسوع[٢٠] مُرسَل الآب ورُسُلِه وتلاميذه حَامِلِي بشارَتِه.

إذًا، هناك تمايزٌ بين الكتاب المقدَّس والقرآن في شأن الشخصيّات البيبليّة وَسِيَرِ حياتها، في شأن أَلْقَابِها، في مَهمّاتِها، في رسالتِها، في دورها الرئيسيّ في تاريخ الخلاص. ففيما القرآن يرتقي بالدعوة الإسلاميّة إلى أبي الديانات التَوحيديَّة، إبراهيم، لا بل يرتقي إلى آدم، أبي البشريّة، ويُطلِقُ عليهما وعلى ذُرِيّتِهما لَقبَ "مُسلِمين"، وذلك خِدمةً للديانة المُحَمَّدية، نرى أنَّ الكتابَ المقدَّس لا يُطلِقُ لقبَ "نبيٍّ" إلاَّ على شخصيّات مُحَدَّدة في تاريخ الخلاص تَنبَّأت عن مجيء المسيح يسوع وهيَّأت لقدوم المخلّص يسوع فادي البشريَّة. أمَّا لَقبُ "رسول" فَأُطلِقَ على شخصيّات حَمَلت بُشرَى الخَلاص، أي بشرى سرّ تَجَسُّدِ الربّ يسوع وحياتِه وموتِه وقيامتِه إلى كلِّ الشعوب.

آدم في الكتاب المقدَّس والقرآن

يتناول هذا البحث المقارنة بين البيبليا والقرآن في موضوع آدم[٢١]؛ ففي حين أنّ البيبليا تذكر آدم في موضع واحد[٢٢]، يذكره القرآن في سبعة مواضع[٢٣] وفي عدَّة آيات من سُورَاتِه[٢٤]. ويُبَيِّنُ البحثُ كذلك أوجُهَ التشابه بين البيبليا والقرآن وأوجُهَ الاختلاف بينهما.

١ – أوجه التشابه بين البيبليا والقرآن في قصّة آدم:

أ. **خُلِقَ آدمُ من تراب**: تتحدَّث البيبليا عن أنَّ الله خلق آدم، אָדָם، من التراب، hmda (تك ٢: ٧). إذًا، هو شيء أرضيّ؛ إنَّه من الأرض ويرتبط بها وإليها يعود[٢٥]. تريد البيبليا أن تُثبت أنَّ الإنسان مرتبط تمام الارتباط بالأرض، وبالتالي أنّه من جوهر بُنيَتِه سريع العطب، مائتٌ وذليلٌ في وَضعِه[٢٦]. أمَّا في القرآن، فالآيات التي تتحدَّث عن خلق

(١٩) يُطلِق القرآن لقب رسول على أشخاص جاؤوا قبل عهد يسوع والرسل؛ فالرسول في العهد الجديد هو من يحمل بشارة المسيح إلى العالم أجمع (مت ٢٨: ١٩).

(٢١) تسعى البيبليا إلى شرح طبيعة الإنسان إستنادًا على اشتقاق الكلمات حسب العقليّة السَاميَّة السائدة: "آدم"، אָדָם – آدمه، אֲדָמָה. كلمة "آدم" هنا كلمة لاسمٍ عامّ كما في تك ١: ٢٦، وليست اسمَ عَلَم، وهي تشتَّق، حسب البيبليا، من "آدمه"، אֲדָמָה، "الأرض"؛ فالإنسان هو شيء أرضيّ، إنّه من الأرض وبها يرتبط وإليها يعود.

(٢٢) هو سفر التكوين! يذكر هذا السفر خلق آدم مرّتين: "فَخَلَقَ اللهُ الإِنسانَ (آدم، הָאָדָם) على صُورَتِه، على صُورَةِ اللهِ خَلَقَه، ذَكَرًا وأُنثى خَلَقَهم" (١: ٢٧)؛ و"وجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ الإِنسانَ (آدم، הָאָדָם) تُرابًا مِنَ الأَرض ونَفخَ في أَنفِه نَسَمَةَ حَياة" (٢: ٧). ويذكر خلق حوّاء من ضلع آدم: "وبَنى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتي أَخَذَها مِنَ الإِنسانِ امرَأَةً، فأَتى بِها الإِنسان" (٢: ٢٢)، ويذكر أيضًا تسمية المرأة بحوّاء: "وسمَّى الإِنسانُ (آدم، הָאָדָם) امرَأَتَه حَوَّاءَ (חַוָּה) لأَنَّها أُمُّ كُلِّ حَيّ" (٣: ٢٠). كما يذكر سقطة آدم وحوّاء (تك ٣).

(٢٣) سورة البقرة: ٣٠–٣٨، سورة الأعراف: ١١–٢٥، سورة الحجر: ٢٨–٤٤، سورة الإسراء: ٦١–٦٥، سورة الكهف: ٥٠، سورة طه: ١١٥–١٢٤، سورة ص: ٧١–٨٥.

(٢٤) هناك ٢٥ آية قرآنيّة تتحدَّث عن آدم: خَمسُ آياتٍ خاطب الله بها الملائكة ليسجدوا لآدم، خَمسُ آياتٍ خاطب الله بها آدم نفسه، خَمسُ آياتٍ خاطب الله بها بني البشر عن آدم، خَمسُ آياتٍ تحدَّث الله فيها عن آدم، خَمسُ آياتٍ تحدَّث الله فيها عن البشر من بني آدم.

(٢٥) "بِعَرَقِ جَبينِكَ تأكُلُ خُبزًا حتَّى تَعودَ إِلى الأَرض، فمِنها أُخِذتَ لأَنَّكَ تُرابٌ وإِلى التُّرابِ تعود" (تك ٣: ١٩).

(٢٦) أ. لويس خليفة، **اللاهوت والتفسير البيبليّ الحديث** – ١، ص ١٢٧–١٢٨.

آدم لم تذكر لفظة "التراب"، إنّما ذُكِرَت في آيات أُخرى[٢٧]. في رواية خلق آدم، ذُكِر الطين[٢٨]، في سورة الحجر ذُكِرَ الصلصال والحَمَأ المسنون[٢٩]؛ فالقرآن لا يتعارض مع البيبليا، فهو يَتَحَدَّث عن مراحل[٣٠] خلق آدم؛ فهو من تراب، والتراب مع الماء يصبح طينًا، والطين الذي يُترَك فترة من الزمن يَنتِن ويصبح حَمَأ، فإذا جَفَّ صار صلصالاً. أمّا الآيات الأخرى فكان ذكر الطين على لسان إبليس[٣١]. لم يُذكَر الطين والحمأ والصلصال في البيبليا. إذًا، يتّفق القرآن مع البيبليا على أنّ آدم خُلق من التراب.

ب. **نفخ الله من روحه في آدم**: تقول البيبليا، أنَّ الله، بعد أن خلق آدم، نفخ فيه نسمة حياةٍ[٣٢] لكي يصبح التراب أو الخزف الجامد كائنًا حيًّا منتعشًا. لذا، عند موت الإنسان، ينقطع الجسد عن الحياة. وهكذا يبدو الموت انفكاكًا. يتفكّك الإنسان إلى جسدٍ وحياةٍ، إلى تراب ونفسٍ حيّة؛ هذا هو علم الأنتروبولوجيا البيبليّة! والقرآن يشاطر البيبليا هذا الرأي أنَّ آدم الطين والحمأ والصلصال صار حيًّا بِفَضلِ نَسَمَةِ الله التي نُفِخَت فيه[٣٣].

ج. **شجرة معرفة الخير والشرّ**: تقول البيبليا أنَّ الله غَرَسَ في جنَّةِ عَدْنٍ شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشَّر[٣٤] التي ترمز إلى الله بالذات. إنّ معرفة الخير والشَّرّ تعني تقرير ما هو خير وما هو شرٌّ، تقريرًا شخصيًّا بمعزل عن أيّ تدخُّل من الله. أراد آدمُ أن يُقَرِّرَ بِنَفسِهِ ما هو خيرٌ وما هو شَرٌّ، لا استنادًا إلى حُكم الله بل استنادًا على حُكمِه وقراره الذاتيّ. وهكذا تبرز الخطيئة كَتَمَرُّدٍ على الله وعلى سُلطَانِه. لا يريد الإنسانُ أن يطيع الله، ولا يريد أن يخضع لشرائعه الإلهيّة، فهو يريد أن يقيم ذاته دستورًا لذاته. يتوافق القرآن مع البيبليا في إباحة الأكل من كلّ شجر جنَّةِ عَدْنٍ باستثناء واحدة[٣٥].

د. **تعليم آدم الأسماء**: تقول البيبليا أنَّ الله بعد، أن خلق آدم، مَنَحَهُ سلطانَ تَسمِيَةِ كلِّ الأشياء في الوجود بأسمائها، علامة لِسُلطَتِه المُكتَسَبَة على المخلوقات[٣٦]. والقرآن يذكر تعليم آدم في مكان واحد[٣٧] أيضًا.

(٢٧) "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (آل عمران، ٥٩).

(٢٨) "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ" (ص، ٧١).

(٢٩) "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ" (الحجر، ٢٨).

(٣٠) لقد مَرَّ خَلقُ آدم بِعِدَّةِ مراحل وَفقَ الترتيب الآتي: **أوّلاً**: مرحلة الطين: "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ (ص، ٧١). **ثانيًا**: مَرَّتْ مُدَّةٌ على طِينَة هذا المخلوق الجديد تَحَوّلَت إلى حمأ مسنونًا، ثمّ جَفَّت فصارت صلصالاً (الحمأ: الطين الأسود المنتن. المسنون: المصقول المُمَلَّس. الصلصال: الطين اليابس الذي إذا نقر بشيء أعطى صوتًا فيه ترجيع). **ثالثًا**: ثمّ مَرَّت فترة جعل الله فيها الصلصال المُعَدَّ ليكون جسدَ آدم ذا صورة، وهي الصورة التامّة لآدم قبل نفخ الروح فيه. وفي يوم الجمعة خُلِقَ آدم كما ورد في الحديث "خلق الله آدمَ يوم الجمعة". وكان طول آدم ستّين ذراعًا: "خلق الله آدم وطوله ستّون ذراعًا..." (البخاري، رقم ٣٣٢٦). **رابعًا**: ثمّ نفخ الله في جسد آدم الذي اكتمل خلقه وتصويره من روحه: "ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ" (السجدة، ٩).

(٣١) "قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ" (ص، ٧٦).

(٣٢) "وجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ الإنسانَ تُرابًا مِنَ الأَرض ونَفَخَ في أَنفِه نَسَمَةَ حَياة، فصارَ الإِنسانُ نَفْسًا حَيَّة" (تك ٢: ٧).

(٣٣) "ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ" (السجدة، ٩).

(٣٤) "وأَنبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرضِ كُلَّ شَجَرَةٍ حَسَنَةِ المَنظَر وطَيِّبَةِ المأكَل، وشَجَرَةَ الحَياةِ في وَسَطِ الجَنَّة، وشَجَرَةَ مَعرِفَةِ الخَيرِ والشَّرّ... مِن جَميعِ أَشْجارِ الجَنَّةِ تأكُل، وأَمَّا شَجَرَةُ مَعرِفَةِ الخَيرِ والشَّرّ فلا تَأكُلْ مِنها، فإِنَّكَ يَومَ تأكُلُ مِنها تَموتُ مَوتًا" (تك ٢: ٩ و١٧).

(٣٥) "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ" (البقرة، ٣٥).

(٣٦) "وجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرضِ جَميعَ حَيَواناتِ الحُقول وجَميعَ طُيورِ السَّماء، وأَتى بِها الإِنسانَ لِيَرى ماذا يُسَمِّيها، فكُلُّ ما سمَّاه الإِنسانُ من نَفْسٍ حَيَّةٍ فهوَ اسمُه. فأَطلَقَ الإِنسانُ أَسْماءَ على جَميعِ البهائِمِ وطُيورِ السَّماءِ وجَميعِ وُحوشِ الحُقول" (تك ٢: ١٩–٢٠).

(٣٧) "وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (البقرة، ٣٠ و٣١).

هـ. **الأكل من الشجرة المحرَّمة والعُري:** إنَّ التَطاولَ والتَعدِّي على "شجرة معرفة الخير والشَّر" التي ترمز إلى الله بالذات، لا تعني مجرَّد التمييز بين الخير والشَّر، فهذا من ميزات الإنسان العاقل، بل بالأحرى **السلطة على تقرير** ما هو خيرٌ وما هو شَرٌّ، وهذا أمرٌ محفوظ لله الذي يُعَلِّم الإنسانَ ما هو خيرٌ وما هو شرٌّ في ما يُعطِيه من وصايا. فخطيئة الإنسانِ إذًا تقوم على التمرُّد على الله ورفض وصاياه، وهذا ما فعله آدم وحواء، ولقد عَبَّرَت البيبليا عن نتيجة تطاولهما على الشجرة المحَّرمة "بـالعُري"[٣٨]. والعُريُ هنا يعني ضعف الإنسانِ وعَجزه. وهنا يوافق القرآن البيبليا في موضوع عُري آدم وحوّاء[٣٩] بعد التَعَدِّي على الشجرة المُحَرَّمة، ولكنّ البيبليا زادت في التفاصيل فبيّنت أنّ حوّاء بَدَأت بالأكل وأعطَت زوجَها الذي أكل دون تَرَدُّد، وأنَّهُمَا سَتَرَا عُريَهُمَا بأوراق التين.

٢ – أوجه الإختلاف بين البيبليا والقرآن في قصة آدم

بعد أن بَيَّنّا في بَحثنا هذا أَوجُهَ التَشَابُه بين البيبليا والقرآن في قصّة آدم، نُبَيِّنُ الآن الاختلاف بينهما:

أ. **إعلام الملائكة بخلق آدم:** لم تذكر البيبليا أنَّ الله أَعلَمَ الملائكةَ أو غيرَهم بأنَّه سيَخلُق الإنسانَ، أمَّا القرآن فقد ذَكَرَ ذلك بُغيَةَ تَبيانِ فَضلِ آدم ومكانَتِه عند الله[٤٠].

ب. **السجود لآدم:** بعد أن سَوَّى اللهُ آدمَ ونفخ فيه من روحِه أمر ملائكتَه بالسجود له[٤١]، فاستجاب الملائكة فورًا للأمر الإلهيّ إلاَّ إبليس الذي تَكَبَّر وأَبَى أن يسجد له[٤٢]. يشرح الطبري في كتابه **تاريخ الملوك والأمم** هذا السجود بأنّه تكريم وطاعة لأمر الله وليس عبادة وتعظيمًا لآدم[٤٣]. سأل الله إبليس عن السبب الذي حَمَلَهُ على ذلك، فكان الجواب بأنَّه أَفضلُ من آدم، فهو مخلوقٌ من نارٍ، وآدم مخلوقٌ من الطين، والنار في رَأيِه أرقى من الطين، فليس من العدل أن يسجد الفاضلُ للمفضول[٤٤]. لكنَّ السبب في الحقيقة هو الكبرياء والحسد اللذان استَولَيَا على قلبِ إبليس وعقلِه، فَحَمَلاهُ على العصيان والتَمَرُّد على كلِّ شيء حتىَّ على الخالق، فكان الجَزَاءُ على استنكاف إبليس عن السجود وتَرَفُّعِه على خَلقِ آدم هو الحُكمَ عليه بالطَردِ من السَّماءِ والإبعَادِ مع صَبِّ اللعنَةِ عليه[٤٥]. وكان جوابُ إبليس: "قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ" (الحجر، ٣٦). قال إبليسُ مُقرًّا لله برُبُوبيّته: بما أنَّك حَكَمتَ عَليَّ الرجمَ والإخراجَ واللعَّنة إلى يومِ الدينِ فَأَمهِلني حَيًّا إلى يومِ الدين. فاستجاب اللهُ لِطَلَبِه وَوَعَدَه بأن يُمهلَه إلى يوم القيامة[٤٦]. ويُعلن إبليس بصراحة ووضوح

(٣٨) "فأَخَذَت من ثَمَرِها وأَكَلَت وأَعْطَت أَيضًا زَوجَها الَّذي مَعَها فأَكَل .فانفَتَحَت أَعيُنُهما فعَرَفا أَنَّهما عُريانان. فَخاطا من وَرَقِ التِّين وصَنَعا لَهُما مِنه مَآزِر" (تك ٣: ٦–٧).

(٣٩) "فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ" (الأعراف، ٢٢).

(٤٠) "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ" (ص، ٧١).

(٤١) "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ" (ص، ٧١ و٧٢).

(٤٢) "فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" (ص، ٧٣ و٧٤).

(٤٣) الطبريّ، تاريخ الطبري، ٦٥/١.

(٤٤) "قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ" (ص، ٧٥ و٧٦).

(٤٥) "قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" (الحجر، ٣٤ و٣٥).

(٤٦) "قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ × إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ" (ص، ٣٧ و٣٨).

بأنَّه لن يدَّخِر وُسعًا في إغواء وإفساد بني آدم بكلِّ ما أُوتِي من وسائل[٤٧]. لذلك ها هو إبليس يتربَّصُ بالبشريَّة منذ البدء حتَّى هذا اليوم، ليُحَوِّل الناسَ عن عبادة الله وتوحيده ويُبيِّن عن خِطَّته المرسومة للإغواء[٤٨]. بالرُّغم من احتيال إبليس على عِبَادِ الله، فإنَّ الله قد حفظ عباده من غواية إبليس[٤٩].

ج. **هل إبليس من الملائكة؟** الراجح عند العلماء المسلمين أنَّه ليس من الملائكة[٥٠] لِمَا يلي: **أوَّلاً**، هناك آية في سورة الكهف صريحة في أنّ إبليس ليس من الملائك. **ثانيًا**، لو كان إبليس من الملائكة لما عصى أمرَ الله لأنّ الملائكة لا يعصون الله أبدًا[٥١]. **ثالثًا**، إبليس مخلوق من نار والملائكة من نور، كما يقول عن نفس[٥٢]. **رابعًا**، الملائكة لا يَتَّصِفُون بذُكُورة ولا أنوثة، وليس لديهم ذُرِيَّة ولا نسل، خلقهم الله ابتِدَاءً من غيرِ طريق التناسل. أمّا إبليس فقد أخبر الله بأنّ له ذُرِّيَّة[٥٣].

د. **ألخلافة في الأرض**: ورد في سورة البقرة موضوعُ خِلافَةِ الإنسانِ في الأرض[٥٤]. لم تذكر البيبليا موضوعَ الخلافة في الأرض، لكن ورد فيها أنَّ الإنسان طُلب منه أن يعمل في هذه الأرض[٥٥].

هـ. **خَلْقُ الإنسان على صورة الله ومثاله**[٥٦]: تقول البيبليا أنَّ الله خَلقَ الإنسانَ على صورته ومثاله، هذا يعني أنَّ ميراث الله للإنسان مُكَوَّنٌ من عنصرين: الصورة الإلهيَّة والمثال الإلهيِّ اللذين خُلِقَ عليهما؛ فالصورة الإلهيَّة هي ما يَتَمَتَّع به الإنسان من روحٍ وعقلٍ وإرادةٍ وحرّيَّة. والمثال الإلهيِّ هو البِرُّ والقَداسة. أمَّا القرآن فلا يذكر هذا مطلقًا، بل يبيِّن أنَّ الله "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (الشورى، ١١). لكن ورد في الحديث الصحيح ما يبيِّن معنى "خلق الله آدم على صورته"؛ فَعَنْ أبي هريرة عن محمَّد قال: "خَلقَ اللهُ آدم على صورته طولُه ستونًا ذراعًا، فلمَّا خَلَقَه قال: إذهَب فَسَلِّم على أولئك النَفَرِ من الملائكة جُلُوسٌ فَاستَمِع ما يُحيُّونَكَ فإنَّها تَحيَّتُكَ وتَحيَّةُ ذُرِيَّتِكَ فقال: السلامُ عَلَيكُم، فقالوا: السلامُ عَلَيكَ ورحمةُ الله، فزادُوهُ ورحمةُ الله فكُلُّ من يَدخُل الجَنَّة على صورةِ آدم..."[٥٧]. فالحديث النبوي يبيِّن أنَّ آدم لم يُخلق على صورة الله بل على صورته هو التي خلقه الله عليها.

(٤٧) "قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ × إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ" (الحجر، ٨٢ و٨٣).

(٤٨) "قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ × ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ" (الأعراف، ١٦ و١٧).

(٤٩) "إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ" (الحجر، ٤٣).

(٥٠) "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ" (الكهف، ٥٠).

(٥١) "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" (التحريم، ٦).

(٥٢) "قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ" (الأعراف، ١٢).

(٥٣) "أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي" (الكهف، ٥٠).

(٥٤) "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ" (البقرة، ٣٠).

(٥٥) "فأَخرَجَه الرَّبُّ الإلهُ من جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَحرُثَ الأَرضَ الَّتي أُخِذَ منها" (تك ٣: ٢٣).

(٥٦) "وقالَ الله: لِنَصنَعِ الإنسانَ على صُورَتِنا كَمِثالِنا... فَخَلَقَ اللهُ الإنسانَ على صُورَتِه على صُورَةِ اللهِ خَلَقَه ذَكَرًا وأُنثى خَلَقَهم" (تك ١: ٢٦–٢٧).

(٥٧) البخاري، **الجامع الصحيح**، باب بدء السلام، ٦٢٢٧.

و. **الأسماء التي تعلَّمها آدم**: لم يُحَدِّد القرآن الأسماء التي تعَلَّمَهَا آدم، ولكنّ عبارة "وعلَّمَكَ أسماءَ كلِّ شيء" التي وردت في الحديث الذي يرويه أنسُ بنُ مالك عن محمد[٥٨]، تدلُّ على أنَّ الله عَلَّمَ آدم الأسماءَ لكي يُقَدِّمَهُ على الملائكة وعلى إبليس خصوصًا، كما لا يُعطي القرآن آدم سلطانًا على الحيوانات، فيقتصر دوره على السَّكن في الجنَّة والأكل منها رغدًا[٥٩]، أي ليس لآدم أيّ سلطانٍ من الله على الحيوانات. أمَّا في البيبليا، فقد أعطى الله آدم، وهو آخر مخلوق، الحرّيّةَ والسلطانَ لكي يُسمِّي هو بنفسه كلَّ الكائنات الحيَّة[٦٠]، إذ هو "صورة الله ومثاله"، أي أنَّه يَتَحَلَّى بالعقل والحرّيَّة والإرادة بالكمال والتمام.

ز. **آدم يعمل في الجنَّة ويحافظ عليها**: يذكر القرآن أنّه لم يُطلَب من آدم أيُّ عملٍ في الجنَّة، فهي لِلَّذَة والتنعُّم[٦١] فقط! أمَّا البيبليا فتَذكُرُ أنَّ الله طلب من آدم أن يحافظ على الجنَّة التي سكنها، وأن يعمل فيها، لأنَّ العملَ شريعةٌ إلهيّةٌ مقدَّسةٌ (تك ٢: ١٥). فتعتبر البيبليا أنَّ عملَ الإنسانِ أمرٌ أراده له الله منذ أن خَلَقَهُ. في المقابل، تذكر البيبليا السامريَّة العبادة مع المحافظة على الجنَّة[٦٢].

ح. **الشجرة التي حُرِّم على آدم الأكل منها**: لم يبيِّن القرآن نوعَ الشجرة أو ماهيّتَها التي مُنعَ آدمُ الأكلَ منها[٦٣]، في حين ذَكَرَتِ البيبليا نوعَ الشجرة التي نُهِيَ آدمُ عن الاقتراب منها[٦٤] والأكل منها: إنَّها "شجرة معرفة الخير والشرِّ"! هذه الشجرة لا تعني مجرَّد التمييز بين الخير والشرِّ، فهذا من ميزات الإنسان العاقل، بل بالأحرى السلطة على تقرير ما هو خير وما هو شرٌّ، وهذا أمرٌ محفوظٌ لله وحده الذي يُعَلِّم الإنسانَ ما هو خير وما هو شرٌّ في ما يعطيه من وصايا إلهيَّة.

ط. **عاقبة الأكل من الشجرة**: لم يذكر القرآنُ أنَّ عاقبةَ الأكل من الشجرة هي الموت، لكن يُفهَم من السياق أنَّ العقاب كان الخروج من الجنَّة[٦٥].

أمَّا البيبليا فقد ذكرت أنَّ عقوبةَ الأكل من الشجرة هي الموت[٦٦]. لكنَّ البيبليا تُقَدِّم لنا "جنَّة عَدنٍ" كصورة لحياة الإنسان مع الله، وخروج آدم من الجنَّة بعد السقطة تعبيرٌ عن فُقدان الإنسان صداقة الله، وهو ما نسميّه: الموت ! لقد رفض الإنسانُ شريعةَ الله التي تحدِّد له "الخير والشرَّ"، وأراد أن يكون هو إله نفسه وشريعة نفسه، فقطع علاقته مع الله، فلا عجب من ثمَّ أن يشعر بأنّه قد أصبح بعيدًا عن الله، وبأنّ الله قد أصبح عنه غريبًا، وهذا هو الموت بحدِّ ذاته!

(٥٨) "... فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أما ترى الناس؟ خلقَكَ الله بيده، وأَسْجَدَ لكَ ملائكته، وعلَّمكَ أسماء كلِّ شيء، إشفع لنا إلى ربِّك..." (البخاري، **كتاب التفسير**، ٤٤٦٧).

(٥٩) "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا" (البقرة، ٣٥).

(٦٠) "وجَبَلَ الرَّبُّ الإلهُ مِنَ الأَرضِ جَميعَ حَيَواناتِ الحُقول وجَميعَ طُيورِ السَّماء، وأتى بها الإنسانَ لِيَرى ماذا يُسَمِّيها. فكُلُّ ما سمَّاه الإنسانُ من نَفْسٍ حَيَّةٍ فهوَ اسمُه. فأَطلَقَ الإنسانُ أَسْماءَ على جَميعِ البهائمِ وطُيورِ السَّماءِ وجَميعِ وحُوشِ الحُقول" (تك ٢: ١٩–٢٠).

(٦١) "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ" (البقرة، ٣٥).

(٦٢) السامريّة / تكوين (البيبليا السامريّة في اللغة العربيّة غير مقسَّمة إلى فصول وآيات).

(٦٣) "وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ"(البقرة، ٣٥).

(٦٤) "وأَمَرَ الرَّبُّ الإلهُ الإنسانَ قائلاً: مِن جَميعِ أشْجارِ الجَنَّةِ تأكُل، وأَمَّا شَجَرَةُ مَعرِفَةِ الخَيرِ والشَّرّ فلا تَأكُلْ مِنها، فإنَّكَ يَومَ تأكُلُ مِنها تَموتُ مَوتًا" (تك ٢: ١٦–١٧).

(٦٥) "فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى" (طه، ١١٧).

(٦٦) "وأَمَّا شَجَرَةُ مَعرِفَةِ الخَيرِ والشَّرّ فلا تَأكُلْ مِنها، فإنَّكَ يَومَ تأكُلُ مِنها تَموتُ مَوتًا" (تك ٢: ١٧).

ي. **خلقُ حوّاء واسمها:** لا يشير القرآن إلى خَلقِ حوّاء البتَّة، ولكن هناك آيات ظنّ بعضُهم أنّها تعني أنَّ حوّاء خُلِقَت من ضلع آدم[٦٧]! ولكنَّ الحديث يقول أنَّ الجزء الذي خُلِقَت حوّاء منه هو الضلع: "إنّ المرأة خُلِقَت من ضِلع..." (صحيح مسلم، رقم ١٤٦٨). بينما البيبليا تذكر أنَّ الله خَلقَ حوّاءَ من ضلعِ آدم! هذه صورة شعبيّة للدلالة على أنَّ المرأة والرجل هما من جبلة واحدة (تك ٢: ٢٣)، وأنّهما متساويان في الطبيعة البشريّة. وفي هذه الصورة أيضًا إصرار على أنّ الزواجَ أمرٌ مقدّسٌ أراده الله نفسه[٦٨]. ولقد سمّاها آدم "حوّاء لأنّها أمُّ كلِّ حيٍّ" (تك ٣: ٢٠)؛ فهي ليست فقط مخلوقة من شيء حيٍّ، بل لها دور أساسيّ في استمرار الحياة البشريّة. أمّا القرآن فلم يذكر اسم حوّاء بل كان يُعَبِّر عنها بزوج آدم (البقرة، ٣٥).

ك. **عري آدم وحوّاء:** يُظهرُ القرآن أنَّ آدم وحوّاء لم يكونَا عريانَين في الجنَّة[٦٩]، أمّا اللباس الذي كانا يلبسَانه فلا يعرف ماهيّته إلاَّ الله. وقد ذكر ابن جرير الطبري أقوالاً عِدَّة في هذا اللباس فقِيلَ: إنَّه الظُفر، وقِيلَ النور، وقِيلَ أنَّه لباسُ التقوى، ولكنَّ الطبري يقول: إنَّه لباسٌ وحسب[٧٠]. أمّا البيبليا فتعتبر أنَّ الابتعاد عن الله لا يقود الإنسان إلى المعرفة والحكمة، كما قالت الحيَّة: "تنفتح أعينكما وتصيران كآلهة عارفَين الخير والشرّ"، بل يقوده إلى اكتشافِ عُريِهِ، والعُريُ هنا يعني ضعف الإنسان وعجزه.

ل. **إبليس:** يَنُصُّ القرآن على أنَّ من قام بالإغواء هو الشيطان–إبليس[٧١]. غير أنَّ البيبليا لا تشير لا من قريب أو بعيد إلى إبليس وإلى دوره في إغواء آدم، بل أنَّ اسم إبليس لا يُذكَر إطلاقًا في البيبليا، فإنَّ الحيَّة هي التي أَغوَت حوّاءَ، وبالتالي حوّاء أغوت آدم. أمّا البيبليا السامريّة فتتحدَّث عن الثعبان الذي أغوى حوّاء بدل الحيَّة.

م. **الله يتمشّى في الجنَّة:** يُنَزِّه القرآنُ الله عن مُشَابَهَةِ البَشَر (التَأنيس، Anthropomorphism: anqropoj *man and* morfh form) أو أيّ من مخلوقاته؛ فاللهُ الخالقُ منزَّهٌ عن النَقصِ ومُشَابَهَةِ المخلوق. أمّا البيبليا، فتستعمل هذا الأسلوب الأدبيّ، التأنيس، Anthropomorphism، لتُعَبِّر عن قُربِ الله من الإنسان[٧٣]. هذا الأسلوب الأدبيّ كان مُقَدِمَةً لسرّ التجسّد الإلهيّ: الله صار بشرًا ! (يو ١: ١٤).

(٦٧) النساء، ١؛ الأعراف؛ ١٨٩؛ والزمر، ٦.

(٦٨) "وقالَ الرَّبُّ الإله: لا يَجبُ أن يَكونَ الإنسانُ وَحدَه، فلأَصنَعَنَّ له عَونًا يُناسِبُه" (تك ٢: ١٨). ويضيف الكاتب: "ولذلِكَ يَترُكُ الرَّجُلُ أَباه وأُمَّه ويَلزَمُ امرَأَتَه فيَصيرانِ جَسَدًا واحِدًا" (تك ٢؛ ٢٤). وهذا النصّ سيعود إليه يسوع في حديثه عن الزواج وشجبه الطلاق (مت ١٩: ٣–٦).

(٦٩) "يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا" (الأعراف، ٢٧).

(٧٠) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج ٥، ص ١٩٥.

(٧١) "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى" (طه، ١٢٠)، و"فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ" (الأعراف، ٢٠–٢٢).

(٧٢) التأنيس (Anthropomorphism) يعني إعطاء صفات الإنسان لغير الإنسان، أي إسناد الخصائص والصفات البشريّة إلى الجماد والحيوان والظواهر الطبيعيّة أو الخارقة، وخصوصًا الله. هذا الأسلوب الأدبيّ استعملته البيبليا، وبالتحديد "التقليد اليهوهيّ"، في سفر التكوين للتعبير عن قُرب الله من الإنسان.

(٧٣) "فسَمِعا وَقْعَ خُطى الرَّبِّ الإلهِ وهو يَتَمَشَّى في الجَنَّةِ عِندَ نَسيمِ النَّهار، فاختَبأَ الإنسانُ وامرَأَتُه مِن وَجهِ الرَّبِّ الإلهِ في ما بَينَ أَشْجارِ الجَنَّة" (تك ٣: ٨).

ن. **مسؤوليّة آدم في المعصية**: يُشيرُ القرآنُ إلى أنَّ آدم هو المخطئ وعليه تقع مسؤولية الزلّة[٧٤]. في البيبليا حوّاء هي المسؤولة[٧٥]، وآدم يتنصّل من المسؤوليّة. لقد أَغوَت الحيَّةُ حوّاءَ بالكلام المُجرَّد ونَفَختهَا بِرَجَاء بَاطِل، وهكذا خدعتها، ومع هذا نَظَرَت إلى الحيَّةُ كموضع ثقة أكثر من الله، مع أنَّ الله أظهر إرادَتَه الحسنة بأعماله؛ فالشيطان إن لم يكن قادرًا على تقديم شيء عمليًّا يُقَدِّم وعُودًا كثيرة في كلمات. هذه هي شخصيّة المُخَادِعين! عندما عاتب الله آدم على عمله، فإنّ الأخير لم ينكر خطأه لكنّه برَّر خطأه بإلقاء اللوم على الغير، فقال آدم: "المَرأَةُ الَّتي جَعَلْتَها معي هي أَعطَتْني مِنَ الشَّجَرةِ فأَكَلتُ" (تك ٣: ١٢)؛ وقالت المرأة: "الحَيَّةُ أَغوَتْني فأَكَلتُ" (تك ٣: ١٣). هكذا ألقى آدم باللوم على حوّاء بل على الله الذي أعطاه حوّاء، وألقت المرأة باللوم على الحيّة، ولم يعتذر أحدٌ منهما، بل تعترف حوّاءُ أنّها خُدِعَتْ... هذا هو حال المَخدُوعِين: لا يدركون الشرَّ إلاَّ بعد إتمامه، إذ تخفي الشهوةُ عنهم إدراكهم للحقيقة وتنزع عنهم المعرفة.

س. **عقاب الحيَّة**: يذكر القرآن عقاب إبليس وليس الحيَّة[٧٦]، كما يذكر عقاب كلٍّ من اتبَّع إبليس[٧٧] فمصيره جهنَّم. أمَّا البيبليا فتذكر عقاب الحيَّة: "على بَطنِكَ تَسلُكين وتُرابًا تَأكُلين طَوالَ أَيَّامِ حَياتِكِ" (تك ٣: ١٤). هكذا كلُّ إنسان يقبل أن يكون أداة للحيَّة يصير كالحيَّة، يسلك على بطنه محبًّا للأرضيّات والجسديّات، ليس له أقدام ترفعه عن التراب، ولا أجنحة تنطلق به إلى سماء الله الواسعة.

في النهاية، بالرغم من توبة آدم وحوّاء إلى خالقهما[٧٨]، فإنَّ الله أهبطهما إلى الأرض ليَنشُرا فيها الهدى[٧٩]. وأيضًا، بالرغم من معصيتهما لله فإنّ القرآن يُكَرِّم نَسلَيهِمَا[٨٠]. يقول الطبري[٨١]: "أَنزَلَ آدمُ معَهُ حين هَبَطَ من الجَنَّةِ الحجرَ الأسود، وكان أكثر بياضًا من الثلج، وعصا موسى، وكانت من آس الجنَّة". يقول الأزرقي[٨٢]: "فيعيش آدم على الأرض يَبنِي للهِ البيتَ الحَرَام في مكَّة"، ثمَّ يأمره الله بالسَّير على البيتِ الحَرَام ويطوف به، فلم تزل داره حتَّى قَبَضَهُ اللهُ بها"[٨٣]. بينما آدم في البيبليا شخصيَّة رمزيّة، ترمز إلى كلِّ إنسانٍ خلقه الله على صورته ومثاله، لأنّ آدم في البيبليا يعني "المأخوذ من الأرض: آدم"(אָדָם– أَدَمَه אֲדָמָה)[٨٥].

(٧٤) "وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا" (طه، ١١٥) و"وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى" (طه، ١٢١).

(٧٥) "فقالَ الإنسان: المَرأَةُ الَّتي جَعَلْتَها معي هي أَعطَتْني مِنَ الشَّجَرةِ فأَكَلتُ" (تك ٣: ١٢).

(٧٦) "قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" (ص، ٧٧ و٧٨).

(٧٧) "قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا" (الإسراء، ٦٣).

(٧٨) "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (البقرة، ٣٧).

(٧٩) "قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى" (طه، ١٢٣).

(٨٠) "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً" (الإسراء، ٧٠).

(٨١) الطبري، **تاريخ الطبري**، ٨٢/١.

(٨٢) الأزرقي، **أخبار مكة**، ٣٦/١.

(٨٣) الأزرقي، **أخبار مكة**، ٣٩/١.

(٨٤) **الكتاب المقدّس** ١٩٩٧: ٧١، حاشية رقم ٤.

(٨٥) "فيَجوزُ القَولُ إنَّ لاوِيَ نَفْسَه، وهو الَّذي يَأخُذُ العُشْر، قد أَدَّى العُشْرَ في شَخْصِ إبراهيم لأنَّه كانَ في صُلْبِ أَبيه يَومَ خَرَجَ مَلكيصادَقُ لِمُلاقاتِه" (٧: ٩–١٠).

٣ – آدم واحد أم اثنان؟ يَتَحَدَّثُ القرآنُ عن آدم واحِدٍ. أمَّا الكتابُ المقَدَّسُ فَيَتَحَدَّث عن آدَمَين، الأوَّل من التراب والثاني من السماء. لقد روى سفر التكوين خطيئة آدم وحوّاء، وكما شرحنا آنفًا، "آدم" هو اسم جماعيّ يرمز إلى كلِّ إنسانٍ، و"حوّاء تعني التي تُعطي الحياة"، لذلك آدم وحوّاء هما رمز لكلّ إنسان، وقصّة خطيئتهما هي قصّة خطيئة كلِّ إنسان. فإذا كان آدم وحوّاء قد خَطِئَا، فكلُّ البشريَّةِ المَكنُونَةِ فيهما قد خَطِئَت! ولنا في البيبليا دليل على أنَّه من الممكن أن يكون الإنسانُ مَكنُونًا في صلبِ شخصٍ آخر قبل أن يُولد، كما تقول الرسالة إلى العبرانيّين[٨٥]، التي تعتبر أنّ لاوي قَدَّم العشورَ لِمَلكيصادَقَ في شخص إبراهيم قبل أن يَفرُزَ اللهُ سِبطَ اللاويّين للخِدمَةِ الكهنوتيّة، فكان لاوي مَكنُونًا في إبراهيم لأنَّه من صلبِهِ. ولكي تَتَجَدَّدُ البشريَّة التي فَسُدَت بآدم الأوَّل، يلزمها آدمٌ ثانٍ للتَجديدِ والتقديس.

وهذا ما بيَّنه الرسول بولس في رسالته إلى أهل روما، أنَّ برَّ الله ونعمته قد ظهَرا للبشريّة الفاسدة في موت وقيامة آدم الثاني يسوع، فيقارن بين الأدَمَين[٨٦]، فيصف شقاءَ الإنسان المتضامن مع آدم الأوَّل الخاطئ، أبي البشريَّة، وخلاصَ الإنسان المتضامن مع آدم الثاني المُخَلِّص، أبي البشريَّة المتجَدِّدَة والمُخَلَّصة به. وبدلاً من انتشار الموت على البشريَّة مع آدم الأوَّل (رو ٥: ١٢)، سَادَت منذ الآن عليها الحياةُ مع آدم الثاني (رو ٥: ١٩). هذا التضامن الجديد سيمتدُّ إلى جميع البشر: "فكما أَنَّ زَلَّةَ إنسانٍ واحِدٍ أفضَت بجميعِ النَّاسِ إلى الإدانة، فكذلكَ بِرُّ إنسانٍ واحدٍ يأتي جميعَ النَّاسِ بالتَّبريرِ الَّذي يَهَبُ الحياة" (رو ٥: ١٨). ذاك هو مخطّط الله الرائع، الذي كُشِفَ في نهاية الزمن، فبَيَّن لنا أنّ التاريخ لا يمكن أن يكون سوى تاريخ خلاص.

(٨٦) "فكَما أَنَّ الخَطيئَةَ دَخَلَت في العالَمِ عَن يَدِ إنسانٍ واحد، وبِالخَطيئَةِ دَخَلَ المَوت، وهكذا سَرى المَوتُ إلى جَميعِ النَّاسِ لأَنَّهُم جَميعًا خَطِئوا... فكَما أَنَّ زَلَّةَ إنسانٍ واحِدٍ أَفضَت بِجَميعِ النَّاسِ إلى الإدانة، فَكَذلِكَ بِرُّ إنسانٍ واحِدٍ يَأتي جَميعَ النَّاسِ بِالتَّبْريرِ الَّذي يَهَبُ الحَياة؛ فكما أَنَّه بِمَعصِيَةِ إنسانٍ واحِدٍ جُعِلَت جَماعةُ النَّاسِ خاطِئَة، فَكَذلِكَ بِطاعةِ واحِدٍ تُجعَلُ جَماعةُ النَّاسِ بارَّة" (رو ٥: ١٢–١٩).

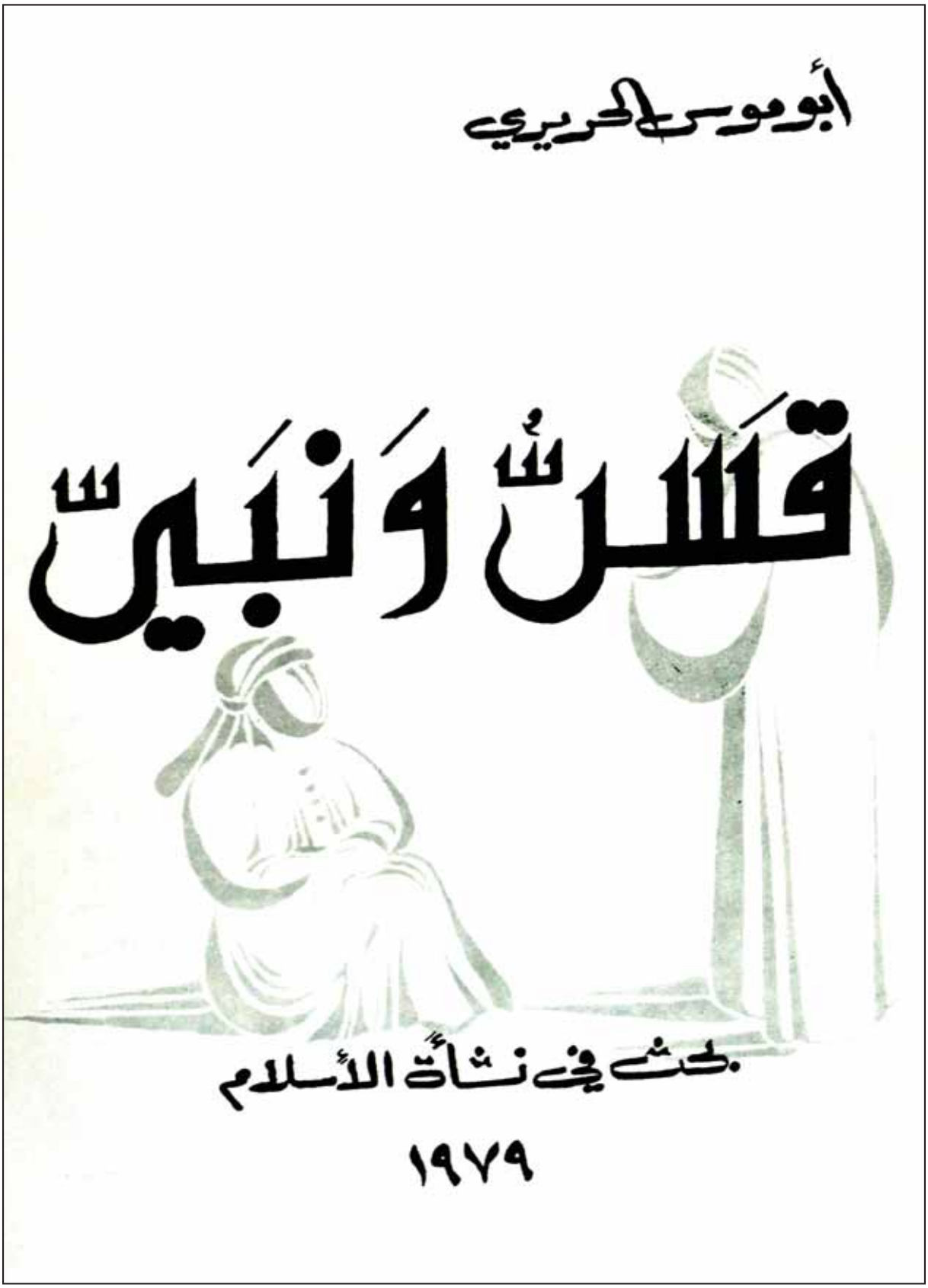
أبو موسى الحريري
قَسٌّ وَنَبِيٌّ
بحث في نشأة الأسلام
١٩٧٩

قصّة يوسف في سفر التكوين والسورة القرآنيّة[1]

المطران أنطوان أودو

مقدّمة

نستطيع أن نزيد على هذا العنوان العامّ عنوانًا ثانويًّا يشير إلى الهدف الذي ننشده من كتابة هذا المقال، ألا وهو الأبعاد اللاهوتيّة لكلّ من هاتين القصّتين الواردتين في الكتاب المقدّس (تك ٣٧–٥٠)، وفي سورة يوسف رقمها ١٢ في القرآن؛ فالطريقة في السرد وأسلوب الكلام عن المكان والزمان، والعلاقة مع الله ومع الآخرين، وذكر الله وعدم ذكره في الرواية هي أمور، إذا ما درسناها استنادًا إلى المؤشّرات الأدبيّة، أوصلتنا إلى رؤية لاهوتيّة خاصّة بكلّ رواية مقروءة على حدة.

أ – التشابه

تحمل هذه القصّة اسم "قصّة يوسف" في التقليد الكتابيّ، كما في السورة رقم ١٢ وعنوانها "يوسف".

يبدو يوسفُ في الروايتين الشخصيّةَ الرئيسيّةَ أو بطلَ القصّة؛ فمن بداية القصّة حتّى آخرها يبقى هو المحور، والأنظار تتوجّه إليه. نلاحظ أيضًا أنّ ذكر يعقوب أبيه يرد في كلّ المراحل الهامّة في الروايتين. أمّا إخوة يوسف فليس لهم أسماء خاصّة بهم في القرآن، فإنّهم يمثلون في الروايتين الإخوة الذين حسدوا أخاهم، وأسفوا في النهاية على الشرّ الذي اقترفوه؛ فخارجًا عن عائلة يعقوب، نلتقي الأشخاص نفسهم: التجّار الذين يبيعون يوسف ليؤخذ إلى مصر، المصريّ الذي يؤمّن يوسف على بيته، وزوجته التي تحاول إغراء يوسف، وأخيرًا، الفرعون وخادماه المتواجدان في السجن مع يوسف.

فعلاوة على هذه الشخصيّات المذكورة هنا وهناك، إنّنا نقع في سياق القصّة على المشاهد نفسها التي ترتبط بعضها ببعض:

(١) تستند هذه الدراسة إلى مقالة نشرها الكاتب في: *Proche-Orient Chrétien*, t. XXXVII (1987) 268-281.
نعيد نشر مقال المطران أنطوان أودو، "قصّة يوسف في سفر التكوين والسورة القرآنيّة"، التي سبق ونُشِرَت في: مجموعة محاضرين، **سفر التكوين وتاريخ الخلاص**، سلسلة دراسات بيبليّة ٢٣، الرابطة الكتابيّة ٢٠٠٣، ص ٣٧٧–٣٨٨، نظرًا لأهمّيّتها في فهم الروابط والاختلافات القائمة بين الكتاب المقدّس والقرآن، موضوع هذا العدد وعددٍ آخَر من **مجلّة بيبليا**.

القرآن	سفر التكوين	الموضوع
١٢: ٤–٧	٣٧: ٥–١١	حلم يوسف
١٢: ٨–٢١	٣٧: ١٢–٣٦	الإخوة يبيعون يوسف
١٢: ٢٢–٣٤	٣٩: ٧–٢٠	يوسف وإغراء المرأة
١٢: ٣٥–٤٢	٤٠: ١١–٢٣	يوسف يفسّر أحلام السجينين
١٢: ٤٣–٤٩	٤١: ١–٣٦	يوسف يفسّر حلم فرعون
١٢: ٤٥–٥٧	٤١: ٣٧–٤٩	الفرعون يسلّط يوسف
١٢: ٥٨–٦٧	٤٢: ١–٢٤	اللقاء الأوّل ليوسف مع إخوته
١٢: ٦٨–٧٩	٤٤: ١–٣٤	احتجاز أخ يوسف
١٢: ٨٨–٩٣	٤٥: ١–٥	يَعرف يوسفَ إخوتُه
١٢: ٩٤–١٠١	٤٦	لقاء يوسف بذويه

فالتوازي واضح، وقراءة القصّة في أحد التقليدين يذكّر عفويًّا بعناصرَ خاصّةٍ ومشدَّد عليها في التقليد الآخر. لنحاول الآن أن نتوقّف عند التمايز في الروايتَين.

ب – التمايز

١ – القرائن الأدبيّة

– في الكتاب المقدّس

تقع قصّة يوسف في الفصول الأخيرة من سفر التكوين. ينتهي الكتاب بإقامة العبرانيّين في أرض مصر (تك ٥٠: ٢٢–٢٦). يُدفَن يوسف في أرض مصر، وهكذا تنتهي قصّة الآباء التي بدأت مع إبراهيم في الفصل ١٢. مع هذه الخاتمة ندخل إلى سفر الخروج الذي يصف خروج الشعب العبرانيّ من مصر، على يد موسى. ولكي يصف سفر الخروج الاضطهاد الذي انهال على العبرانيّين، فإنّه يسرد ما يلي: "وقام ملك جديد على مصر لم يعرف يوسف" (خر ١: ٨). ينزل يوسف أوّل من ينزل إلى مصر، وهو أيضًا أوّل من يخرج مع شعبه، لأنّه يقول في وصيّته: "واستحلف يوسف بني إسرائيل وقال: إنّ الله سيفتقدكم، فأَصعِدوا عظامي من هاهنا" (تك ٥٠: ٢٥)؛ فإنّه من الأهمّيّة بمكان أن نلاحظ كيف أنّ قرائن القصّة الكتابيّة تُدخِل قصّةَ يوسف في الزمان والمكان في علاقتهما بعضهما ببعض، مع نظرة للتاريخ خاصّة بالقصّة الكتابيّة.

– في القرآن

تختلف القرائن الأدبيّة في السورة القرآنيّة رقم ١٢. نلاحظ أوّلاً أنّ الرواية تبدأ وتنتهي بقول إلهيّ يوجهه الله إلى نبيه محمّد؛ ففي السورة ١٢، يسرد الله نفسه القصّة لمحمّد ويقول له منذ البداية وفي الآية ٣: "نحن نقصّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله من الغفلين"؛ فالآيات الثلاث الأولى هي مقدّمة لقصّة يوسف التي تبدأ في الآية ٤، بينما الآيات ١٠٢–١١١ هي الخاتمة، وفيها يتوجّه الله بالكلام إلى محمّد لكي يشرح له معاني القصّة الدينيّة.

٢ – الزمان

– في الكتاب المقدّس

يقارن الأستاذ روجيه أرنالديز ما بين الروايات الكتابيّة والروايات القرآنيّة في كتابه **رسل ثلاثة لإله واحد**،

ويصل إلى الخاتمة التالية: "إنّ الأحداث في الروايات الكتابيّة هي اللحمة التي عليها ينسج الوحي في الزمن التاريخيّ"[٢]؛ فمفهوم الزمن في أبعاده الثلاثة، الماضي، الحاضر، والمستقبل، هو أمر هامّ، لأنّه من خلال الزمن يوحي الله بذاته للإنسان.

تبدأ قصّة يوسف في سفر التكوين بالكلمات التالية: "هذه سيرة يعقوب" (تك ٣٧: ٢)، وتنتهي بإشارات عدّة إلى نسله. في تك ٤٦: ٨–٢٧، نقع على لائحة من سبعين شخصًا من عائلة يعقوب نزلوا إلى مصر (تك ٤٦: ٢٧)، وفي آخر الكتاب، وقبل أن يموت يعقوب أوّلاً ومن بعده يوسف (تك ٥٠)، فإنّ الأب الشيخ يبارك ابنَي يوسف (تك ٤٨) وكلّ أبنائه (تك ٤٩).

فالسلالة المذكورة في بداية الرواية تشير بشكل واضح إلى أنّ أحداث القصّة تدور في الزمن، فلها ما يسبقها، وهم الآباء، ولها ما يتبعها، وهو خروج الشعب من مصر على يد موسى.

كان يوسف ابن سبع عشرة سنة في بداية القصّة (تك ٣٧: ٢)، وعندما سلّمه الفرعونُ الحكمَ كان قد بلغ الثلاثين (تك ٤١: ٤٦). ويموت أخيرًا وله من العمر المائة والعشر سنوات (تك ٥٠: ٢٦).

لدينا أيضًا في القصّة الكتابيّة مؤشّرات أدبيّة أُخرى تشدّد على الزمن في الكتاب المقدّس. نقع على العبارة المقبولة التالية: "وكان بعد هذه الأحداث" (تك ٣٩: ٧ و٤٠: ١)، كمقدّمة للوحة إغراء المرأة، وسجن عامليّ الفرعون.

علاوة على ذلك، نستطيع أيضًا أن نصنّف بعض التعبيرات التي تشير إلى الزمن في الرواية الكتابيّة: "فاتّفق في بعض الأيّام" (تك ٣٩: ١١)، "ورأيا كلاهما حلمًا في ليلة واحدة" (تك ٤٠: ٥)، "فكان في اليوم الثالث" (تك ٤٠: ٢٠)، "وكان بعد مضيّ سنتين من الزمن" (تك ٤١: ١)، "فلمّا كان الصباح" (تك ٤١: ٨)، "وفي اليوم الثالث" (تك ٤٢: ١٨)، "وفتح أحدهم بكيسه ليلقي علفًا في المبيت لحماره" (تك ٤٢: ٢٧)، "فلمّا أضاء الصبح" (تك ٤٤: ٣). وهكذا نلاحظ أنّ القصّة محدّدة بمؤشّرات زمنيّة دقيقة.

لا بدّ لنا أيضًا أن نلفت الانتباه إلى استعمال ظرف الزمان "الآن" المكرّر في مواقع هامّة من الرواية و"اليوم" الذي يرد مرّة واحدة في آخر القصّة:

"والآن تعالوا نقتله..." (تك ٣٧: ٢٠).

"والآن، لِيَبْحثْ فرعون عن رجل فهيم حكيم يقيمه على أرض مصر" (تك ٤١: ٣٣).

"هوذا الصغير الآن عند أبينا، وواحد لا وجود له" (تك ٤٢: ١٣ و٤٢: ٣٢).

والآن، إذا عدت إلى عبدك أبي والفتى ليس معنا، ونفسه متعلّقة بنفسه... يموت..." (تك ٤٤: ٣٠).

"فليبق عندك الآن مكان الفتى عبدًا لسيّدي ويصعد الفتى مع إخوته" (تك ٤٤: ٣٣).

"والآن فلا تكتئبوا ولا تغضبوا لأنّكم بعتموني هنا، فإنّ الله قد أرسلني أمامكم لأحييكم" (تك ٤٥: ٥).

"وكان عبيدك ذوي ماشية منذ صغرهم إلى الآن..." (تك ٤٦: ٣٤).

"ها إنّي قد اشتريتكم الآن أنتم وأراضيكم لفرعون" (تك ٤٧: ٢٣).

"والآن، فابناك اللذان ولدَا لك في أرض مصر..." (تك ٤٨: ٥).

(٢) روجيه أرنالديز، **رسل ثلاثة لإله واحد**، ص ٢١.

"الله الذي سار أمامه أبواي إبراهيم وإسحق، الله الذي رعاني منذ كنت إلى الآن..." (تك ٤٨: ١٥ب).

"والآن، أسألك أن تصفح عن ذنب عبيد إله أبيك" (تك ٥٠: ١٧ب).

"أنتم نويتم عليّ شرًّا، والله نوى به خيرًا، لكي يصنع ما ترونه اليوم ليهب الحياة لشعب كثير. والآن لا تخافوا: أنا أعولكم أنتم وعيالكم" (تك ٥٠: ٢١-٢٢).

نستطيع أن نستنتج ممّا سبق، بشكل مقتضب، أنّنا نقع في المقطعَين الأساسيَّين اللذَين يحتويان على أبعاد القصّة اللاهوتيّة على مسامحة الأخ لإخوته، واستعمال الظرفَين "الآن" و"اليوم" اللذَين يلخّصان الماضي في حاضر يفتح الآفاق على المستقبل.

- في القرآن

شدّد زمن الكتاب المقدّس على "الآن"، كما أظهرنا ذلك من خلال الاستشهادات المختلفة. أمّا في القرآن فالزمن هو زمن الديمومة.

يلفت روجيه أنالديز انتباهنا، في الدراسة التي استشهدنا بها، إلى الأداة "إذ" المستعملة في القصّة القرآنيّة. يقول أنالديز: "إنّ هذه الأداة تجمع المدّة الزمنيّة في الآونة الحاضرة، وتفجّر، خارج الزمن، الحقيقة الدينيّة التي يريد أن يعملها..."[٣].

في الواقع، تبدأ قصّة يوسف، في السورة رقم ١٢: ٤، بهذه الأداة: "إذ قال يوسف لأبيه يا أبتِ إنّي رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين". تتكرّر هذه الأداة مرّات أُخرى في القصّة القرآنيّة (١٢: ٨ و٥١ و١٠٠).

فخارجًا عن استعمالين دقيقين للزمن "أرسله معنا غدًا" (قرآن ١٢: ١٢)، و"جاؤا أباهم عِشاءً يبكون" (قرآن ١٢: ١٦)، نجد أنّ السرد القرآنيّ يعتمد على منطق زمنيّ خاصّ به؛ فيشار إلى الزمن في القرآن انطلاقًا من أداة قريبة أيضًا من "إذ" وهي "لمّا": (رج قرآن ١٢: ١٥ و٢٢ و٢٨ و٣١ و٥٤ و٦٣ و٦٦ و٦٩ و٧٠ و٨٨ و٩٦ و٩٩).

من يذكر الزمن لا بدّ له من أن يتحدّث عن التاريخ. وفي القرآن يسرد الله التاريخ انطلاقًا من مطلقه ومن أبديّته. نعتقد إذًا أنّ في المبدأ يقوم أهمّ تمايز ما بين التقليدين الكتابيّ والقرآنيّ، من حيث تصوّر الزمن، وهذا ما سوف نوضحه بالعناصر التحليليّة القادمة.

٣- المكان

- في الكتاب المقدّس

تدور أحداث القصّة الكتابيّة ما بين مصر وكنعان. يكفي أن نستنتج الآيات التي تذكر هذين البلدين لكي نتأكّد من أهمّيّة هذه الأمكنة في تفكير الرواية. تُذكَر مصر ٦٦ مرّة، وكنعان ٢٢ مرّة. وبعد أن ينزل العبرانيّون إلى مصر، لدينا ما يشير مرّات عديدة إلى أنّهم يقيمون في أرض جاسان، من منطقة دلتا الشرقيّة. تذكر الرواية أيضًا "شكيم" (تك ٣٧: ١٢) حيث ترعى المواشي، و"دوتائين" (تك ٣٧: ١٧) إلى حيث يذهب يوسف، فقد كانت قادمة من جلعاد (تك ٣٧: ٢٥).

فقصّة يوسف في الكتاب المقدّس هي قصّة نزول إلى مصر، أرض الوثنيّين، استعدادًا إلى خروج الشعب إلى أرض يعطيها الله لشعبه؛ فإنّ هذا التحرّك الجغرافيّ، وهذا السير في التاريخ الذي يفترض "ما قبل" أو "ما بعد" هو أمر هامّ في فهم القصّة لاهوتيًّا. يوحي الله بنفسه عبر تاريخ يتقدّم رويدًا، ولم ينته بعد من قبول معناه الأخير.

(٣) روجيه أرنالديز، **رسل ثلاثة لإله واحد**، ص ٢١.

– في القرآن

يلاحظ من يطالع القصّة القرآنيّة، أنّه لا وجود لأسماء المكان ولأسماء الأشخاص؛ فعلى سبيل المثال، لا يحمل إخوة يوسف أسماء فرديّة دقيقة، فهم "الإخوة". تذكر مصر مرّتين فقط، من دون أن يحمل هذا البلد المعاني الكتابيّة؛ فلا علاقة مثلاً بين مصر والأمم؛ ففي السورة القرآنيّة ١٢: ١٢، نقرأ: "وقال الذي اشتراه من مصر"؛ فمصر هي صفة للرجل الذي اشتراه. وفي الآية ٩٩ نقرأ أيضًا: "أدخلوا مصر إنشاء الله آمنين"؛ هذا ما يقوله يوسف لإخوته عندما يأتون إليه؛ فمصر، في هذا السياق، لا تحتوي على صفة الأرض الغريبة الوثنيّة في تقابل مع أرض كنعان، بلد الآباء، إبراهيم وإسحق ويعقوب. يقول أحد الذين درسوا هذه السورة القرآنيّة: "كان باستطاعة يوسف القرآن ألاّ يقضي زمنًا من حياته في مصر"؛ فإن كان لمصر ولكنعان في الكتاب المقدّس معان تحدّد المكان، ففي القرآن لا نجد دقّة في ذكر اسم المكان. هو مكان شامل، هو الأرض، يقابل ديمومة الزمن الذي تحدّثنا عنه آنفًا.

ب– العلاقة بين الإنسان والله

يبدو لنا أنّه باستطاعتنا من خلال شخصيّة يعقوب أن ندرس بشكل دقيق العلاقة بين الإنسان والله في كلاَ القصّتَين؛ فكما ألمحنا في ما سبق، الله هو الذي يسرد القصّة على نبيّه في القرآن؛ فالنظرة إلى التاريخ هي من منطلق الله. أمّا في الكتاب المقدّس فالرواي هو الذي يسرد القصّة، ويتحدّث عن الله في صيغة الغائب. ويلاحظ القارئ حضور الله المباشر في القرآن وتدخّله في الأحداث كلّها، بينما، في الكتاب المقدّس، يبدو الله وكأنّه غائب، ولا يذكر اسمه إلاّ في الأوقات الحاسمة (رج **الربّ**: تك ٣٩: ٢، ٣، ٢١، ٢٣؛ الله: تك ٣٩: ٩؛ ٤٠: ٨؛ ٤١: ١٦، ٢٥، ٢٨، ٣٢، ٣٨، ٣٩، ٥١، ٥٢؛ ٤٢: ١٨، ٢٨؛ ٤٣: ٢٣، ٢٩؛ ٤٤: ١٦؛ ٤٥: ٥، ٧، ٨، ٩؛ ٤٦: ١، ٢، ٣؛ ٤٨: ٩، ١١، ١٥، ٢٠، ٢١؛ ٤٩: ٢٥؛ ٥٠: ١٧، ١٩، ٢٠، ٢٤، ٢٥).

لنعد إلى شخصيّة يعقوب؛ ففي القصّة القرآنيّة يعلم يعقوب مسبقًا سير الأحداث. وعلاوة على ذلك لا ذكر لخبرة الألم والموت الحاضرَين بشكل بارز في النصّ الكتابيّ، ولا سيّما في شخصيّة يعقوب.

– **في القرآن**، وعندما يسرد يوسف حلمه لأبيه (الآية ٤)، يعلم يعقوب أنّ الإخوة قد يسيئون التصرّف مع يوسف. كما أنّه يعلم أنّ الله سوف يختاره ويشمله بالخيرات التي كانت لأجداده (الآيتان ٥–٦). وفي ختام القصّة، وعندما يخبر أنّ يوسف حيّ (الآية ٩٦)، يجيب يعقوب: "ألم أقل لكم أنّي أعلم من الله ما لا تعلمون؟"؛ فمن بداية القصّة وحتّى آخرها، يعقوب القرآن قد يحزن (الآيات ١٣، ٨٤، ٨٦)، إلاّ أنّه لا ييأس ولا يتألّم؛ ففي الآية ١٨، عندما يأتي الإخوة لكي يروه قميص يوسف المتضمخ بالدم، فإنّه يقول: "بل سوّلت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون". لا يفكّر يعقوب بحادثٍ أليم، ولكنّه يعلم أنّه هناك فكرة جريمة راودت فكر أبنائه؛ فإنّه يتسلّح بالصبر، لأنّه يعلم أنّ الله سيكون معه. كذلك يؤكّد يعقوب في الآية ٦٤، عندما يطلب منه أن يرسل ابنه الصغير: "قال هل آمنكم عليه إلاّ كما آمنتكم على أخيه من قبل؟ فالله خير حافظ وهو أرحم الراحمين". يشكّ يعقوب في أمانة أبنائه من ناحية، ويؤكّد من ناحيةٍ أُخرى على حفظ الربّ ورحمته. كذلك يحدّد يعقوب الباب الذي به يدخلون إلى المدينة في الآيتين ٦٧–٦٨، لأنّه إنسان يعلم، ويتلقّى هذا العلم من الله نفسه. وعندما يحتفظ يوسف بالأخ الأصغر (الآية ٨٣)، فإنّ ردة فعل يعقوب هي هي كما في غياب يوسف في الآية ١٨: "قال بل سوّلت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا، إنّه هو العليم الحكيم". لا ييأس يعقوب من روح الله (الآية ٨٧)؛ وعندما تتحرّك القافلة لكي تبشّره أنّ يوسف حيّ، فإنّه يقول: "ولمّا فصلت العيرُ قال أبوهم إنّي لأجد ريح يوسف لولا أن تفنّدون" (الآية ٩٤).

يبدو يعقوب في موقف المستسلم لله. هو نموذج الإنسان المسلم الذي أسلم حياته بين يدي الله؛ فمسألة الألم والموت، والرغبة في معرفة شيء لم يعلنه الله (الآية ٦٨)، لا يشكّل جزءًا من خبرته أو من موقفه الإيمانيّ؛ فالله نفسه يمنحه مسبقًا علم النهاية. إنّه يبعد عنه مسألة ألم والدٍ أمام موت ابنه.

– **في الكتاب المقدّس**، فالمسألة التي يعيشها يعقوب هي في منتهى الإنسانيّة؛ ليس الموقف موقف تسليم كما في القرآن؛ فالكتاب المقدّس يشدّد على مأساة الألم والموت في موقف يعقوب. لنستعرض ذلك في الفصول ٣٧–٥٠ في سفر التكوين.

عندما يسرد يوسف حلمه في بداية القصّة يؤنّبه يعقوب ويقول له: "ما هذا الحلم الذي رأيته؟ أترانا نأتي أنا وأمّك وإخوتك فنسجد لك إلى الأرض؟" (تك ٣٧: ١٠)؛ يؤنب يعقوب يوسف ويطرح سؤالاً حول المستقبل: إنّه لا يستعمل أسلوب التأكيد كما يفعل يعقوب في القرآن (١٢: ٥–٦)، بل أسلوب الاستفهام (رج الجمل الاستفهاميّة في نصّ التكوين: ٣٧: ٨، ١٠، ١٣، ١٥، ٣٠، ٣٢؛ ٣٩: ٩؛ ٤٠: ٧؛ ٤١: ٣٨؛ ٤٢: ١، ٢٢، ٢٨؛ ٤٣: ٢٧، ٢٩؛ ٤٤: ٤–٥، ٦، ١٥–١٦، ١٩؛ ٤٥: ٣)؛ هو الإنسان الذي يطرح السؤال ليس في سبيل تأكيد أمر مباشرةً. لدينا أيضًا في القرآن جمل استفهاميّة (١٢: ١١ و٢٥ و٣٩ و٥٠ و٥١ و٥٩ و٦٤ و٦٥ و٧١ و٧٤ و٨٠ و٨٩ و٩٠ و٩٦ و١٠٧ و١٠٩). والاستفهام في القرآن هو سبيل التأكيد، ويتبع الاستفهامَ مباشرةً جوابٌ على السؤال.

وفي تك ٣٧: ١٢–١٤، هو يعقوب الذي يرسل يوسف نحو إخوته لأنّه لا عِلم له بما سوف يجري، بينما في الرواية القرآنيّة، كما لاحظنا سابقًا، هم الإخوة الذين يطلبون من يعقوب أن يرسل يوسف، بينما يفصح يعقوب عن تخوّفه من ذئب يفترسه (١٢: ١٣).

يعود إخوة يوسف إلى أبيهم يعقوب ومعهم القميص المتضمخ بالدم (تك ٣٧: ٣٢–٣٥)؛ فرؤية هذا القميص تصبح بالنسبة إلى يعقوب علامة موت ابنه. سوف يستسلم للحزن رافضًا كلّ تعزية: "إنّي أنزل حزينًا إلى ابني، إلى مثوى الأموات. وبكى عليه أبوه". نستطيع القول أنّ موت يوسف يستبق الموت في حياة يعقوب وهو يتحدّث عنه مرارًا. أمّا في القصّة القرآنيّة فيبدو يعقوب وكأنّه لا يصدّق أنّ ابنه يوسف قد مات؛ هو يلجأ إلى صبر الله: "سوّلت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون" (١٢: ١٨).

تبلغ مأساة يعقوب أشدّها عندما يشعر بضرورة الانفصال عن بنيامين (تك ٤٢: ٣٦–٣٨). يذكر في هذا الموقف موت يوسف، ويخاف أن ينتهي بنيامين مثل أخيه؛ ففي الرواية الكتابيّة تشديد على المأساة التي عاشها يعقوب عندما فارق أبناءَه، ويذكر ثانية نزوله إلى مثوى الأموات. أمّا في القرآن (١٢: ٦٤–٨٦)، وفي مجرى الكلام عن الأحداث نفسها، فكلّ إشارة إلى الألم والموت تختفي. يلجأ يعقوب إلى العلم الإلهيّ؛ إنّه يتكلّم بصفته مسلمًا كاملاً، أسلم نفسه لله.

وأخيرًا، عندما يصمّم الإخوة على العودة إلى مصر لشراء القمح (تك ٤٣: ١٣–١٤)، يضرع يعقوب سائلاً رحمة الله، ويعبّر عن عدم مقدرته أمام كلّ ما ينهال عليه: "والله القدير يهب لكم رحمة أمام الرجل، فيطلق لكم أخاكم الآخر وبنيامين. وأمّا أنا فإن فقدتهما أكون فقدتهما" (تك ٤٣: ١٤).

ويبشّر يعقوب أبناؤه بأنّ يوسف حيّ بالكلمات التالية: "إنّ يوسف لا يزال حيًّا، بل هو مسلّط على كلّ أرض مصر، فجمد قلبه لأنّه لم يصدّقهم" (تك ٤٥: ٢٦).

لا يصدّق يعقوب بسهولة أنّ يوسف حيّ هو، وهذا ممّا يزيد في المأساة التي عاشها بفقدانه. باستطاعتنا أن نلاحظ في كلام الإخوة الكلمتَين الهامّتَين، "حيّ –

مصر"؛ فيوسف هو حيّ في قلب مصر التي تمثّل بلاد الوثنيّين، وعلى يعقوب أن يذهب ويرى ابنه قبل أن يموت هو (تك ٤٥: ٢٨). لا يتوقّف القرآن عند هذه الآيات الكتابيّة التي تعتبر أساسيّة في فهم نصّ التكوين، لأنّ رؤيته تختلف تمامًا في هذا المجال؛ ففي القرآن، يستردّ يعقوب بصره عندما يلقى على وجهه قميص يوسف، ويبادر أبناءه بالقول: "ألم أقل لكم أنّي أعلم من الله ما لا تعلمون؟" (١٢: ٩٦). إنّ خبرة الموت والحياة التي يعيشها يعقوب في الرواية الكتابيّة عبْرَ قصّة ابنه يوسف، يتّخذ مكانها في القرآن موقف التسليم والصبر والعلم من لدن الله.

ج – قصّة واحدة ولاهوتان

في تفسيره لسفر التكوين، يؤكّد فون راد، أنّنا نجد معنى قصّة يوسف في النصَّين اللذَين يختمان القصّة بأكملها (تك ٤٥: ٥–٧ و٥٠: ٢٠ي)؛ فالكلمات الهامّة في هذَين النصَّين يشيران إلى توجّه القصّة اللاهوتيّ: ففي سبيل خلاص شعب عظيم، قد سمح الله أن يباع يوسف إلى مصر. باستطاعتنا أيضًا أن نلاحظ التشديد على "الأنا"، وعلى "الآن"، وعلى "اليوم".

عبر قصّة التكوين نستنتج أهمّيّة موضوع الموت–الحياة؛ فالحقل الدلاليّ المستعمل في هذا المجال واسع جدًّا. تبدأ القصّة بنسب يعقوب وتنتهي بسلالة يعقوب استعدادًا لسفر الخروج. ومن ناحية أُخرى، لا نستطيع أن نفهم شخصيّة يوسف إلاّ من خلال المحن التي اجتازها (أُلقِيَ في البئر، بيعَ إلى الإسماعليّين، أصبح عبدًا، سُجِن ظلمًا)، لكي يتحوّل في كلّ مرحلة من حياته إلى علامة حياة للأمم وهو يجتاز مختلف المحن.

في الدراسة المقارنة التي قمنا بها، توقّفنا عند مسألة الزمان والمكان؛ فالزمان في القرآن هو زمن الديمومة، هو زمن أبديّة الله الذي يدعو الإنسان إلى أن يدخل فيه، بينما في الكتاب المقدّس، يعيش الإنسان وحي الله انطلاقًا من الآن؛ فالآن البيبليّة تؤوّن خلاص الله وتفتحه على المستقبل: لا بدّ إذًا من استمراريّة الخلاص في سبيل حياة كثير من الناس (تك ٤٥: ٧؛ ٥٠: ٢٠).

كما أنّنا كنّا قد لاحظنا في تحليلنا قصّة يوسف، أنّ القرآن ينظر إلى المكان والزمان بأسلوب يختلف؛ فالمكان هو كلّ مكان، هو الأرض بكاملها، بينما الزمان هو زمن الديمومة. علاوة على ذلك، لا ينظر القرآن إلى موضوع الموت–الحياة كما في الكتاب المقدّس. في القرآن، يعلّم الله يوسف تفسير الأحلام، كما أنّه يمنح يعقوب علم مشيئته بشكل مسبق. وقد أشرنا أيضًا إلى أهمّيّة "الأنا" البيبليّة؛ هو يوسف الذي يتكلّم بضمير المتكلّم ويشرح إرادة الله من خلال حياته. بينما تنتهي القصّة القرآنيّة بتأويل يلقيه يوسف (قرآن ١٢: ١٠٠–١٠١)؛ وكما أنّ آخر نصَّين في الكتاب المقدّس يحتويان على المعاني اللاهوتيّة للقصّة، كذلك آخر آيتَين في السورة القرآنيّة، فإنّهما تعرضان علينا الدرس اللاهوتيّ الذي يستخلصه يوسف من حياته أمام ذويه وإخوته. لقد تحقّق حلمه. لقد أخرجه الله من السجن وأتى بأهله إليه. هو الشيطان الذي زرع الفتنة بينه وبين إخوته، ولكنّ الله هو العليم الحكيم. ينهي يوسف كلامه بدعاء معترفًا بعطايا الله عليه، هو الإنسان. وبذلك تشديد على حقيقة الله وحقيقة الإنسان. لقد منح الله جزءًا من سيادته ليوسف وعلّمه "تأويل الأحاديث". والله هو خالق السماء والأرض، وهو وليّها "في الدنيا والآخرة". وأخيرًا يطلب يوسف من ربّه أن يتوفّاه مسلمًا، وأن يلحقه بالصالحين.

خاتمة

نلاحظ أخيرًا، أنّ مفهوم الخلاص الذي يتحقّق في التاريخ هو مفهوم غائب عن القصّة القرآنيّة؛ فيوسف البيبليّ قد أرسله الله أمام إخوته لكي يحضّر طريق خلاص منفتحًا على المستقبل. أمّا يوسف في القصّة القرآنيّة، فهو مسلم تامّ، خاضع لله الخالق والعليم والحكيم والرحيم.

رؤيتان لاهوتيّتان متكاملتان، فهمَا ليستَا متعارضتَين ولكن لكلّ واحدة منهما توجّهها الخاصّ. يعمل الله في القصّة البيبليّة في التاريخ بطريقة محتجبة؛ هو يبدو وكأنّه يترك الإنسان يعيش وحده مأساة الألم والموت والخلاص في وسط الأمم، وفي الزمان والمكان، الآن وهنا. بينما في القصّة القرآنيّة، يبدو الله خالقًا عليمًا، يدعو الإنسان إلى أن يكون مطيعًا مسلمًا، دون أن يعبر في ليل القلق والألم والموت. فمن ناحية، إنّ الله هو مبدأ حرّيّة روحيّة، ومن ناحية أُخرى، هو مبدأ ضرورة مطلقة.

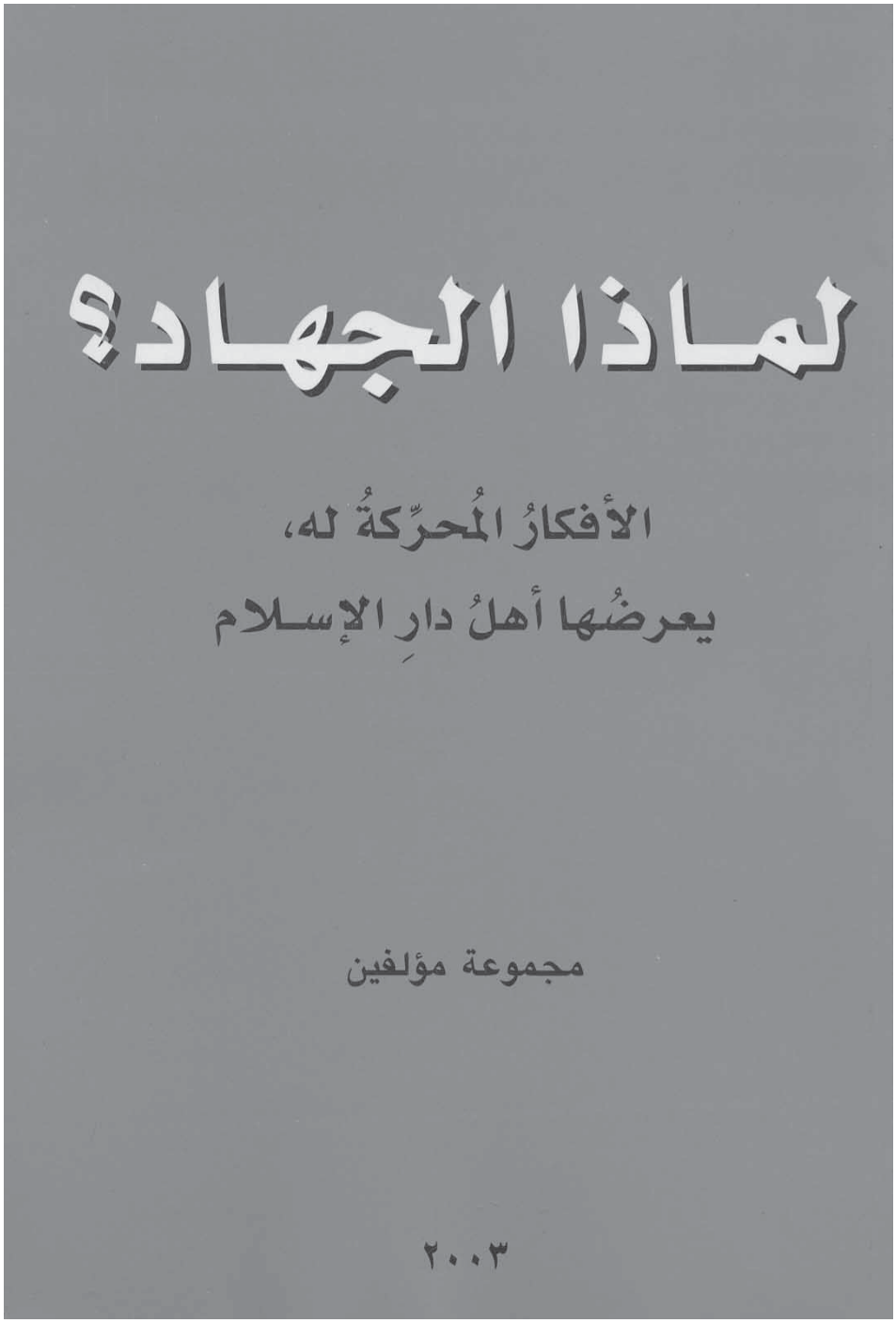

خطيئة داود وتوبته في التقاليد التوحيديَّة

المونسنيور بولس الفغالي
باحث في الكتاب المقدّس

مقدّمة

يروي سفر صموئيل الثاني أنَّ داود تمشَّى على سطح بيته، فرأى من على السطح امرأة تستحمّ. وكانت المرأة جميلة المنظر جدًّا، فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد: "هي بتشابع بنت إليعام امرأة أوريَّا الحثّيّ". فأرسل داود رسلاً وأخذها، فدخلَتْ إليه، فاضطجع معها وهي مطهَّرة من طمثها. ثمَّ رجعَت إلى بيتها" (٢ صم ١١: ٢-٥).

هي خطيئة داود الأولى. زنى بامرأة متزوّجة وهو يستحقُّ الرجم وربَّما هي أيضًا، إلاَّ إذا خافت فأذعنَتْ له. يقول سفر اللاويّين: "أيُّ رجل زنى بامرأة رجل، فليُقتَل الزاني والزانية" (لا ٢٠: ١٠).

امرأة من آل إسرائيل. ابنة إليعام الذي انقلب اسمه في ١ أخ ٣: ٥ فصار "عميئيل". أمّا زوجها فهو من الغرباء. هو حثّيّ؛ فلو أنَّ زوجها كان أحد رجال داود الأبطال، لما كانت حصلَتْ هذه الخطيئة. ولكنَّ الأمور لم تتوقَّف هنا. ونواصل قراءة ٢ صم:

"وحبلت المرأة، فأرسلَت وأخبرَت داود وقالت: إنّي حبلى" (١١: ٥). فلا بدَّ من إخفاء "الخطيئة". والحلّ: يأتي زوجها من الجبهة. أرسل داود إلى يوآب: "أرسلْ لي أوريّا الحثّيّ" (آ ٦): يأتي هذا "الضابط" إلى بيته، ينام مع امرأته وتُطمَس الخطيئة. ولكنَّ الأمور لم تكن كما اشتهاها داود. فأوريَّا، في نفسه النبيلة، رفض أن يمضي إلى بيته، "بل نام على باب القصر... ولم ينزل إلى بيته" (آ ٩). وحاول داود مرَّة أخرى، فكان جواب أوريَّا: "تابوت العهد وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيّدي يوآب وعبيد سيّدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي؟... لا أفعل هذا الأمر" (آ ١١).

فاستعدَّ داود للخطيئة الثانية: يموت أوريَّا. عندئذٍ كتب إلى يوآب: "إجعلوا أوريَّا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه فيُضرَب ويموت" (آ ١٥). وهكذا كان. "فأرسل يوآب وأخبر داود...". ولمَّا سمع الملك بالخبر، قال بعد أن قَتل أوريَّا بدم بارد: "السيف يأكل هذا وذاك" (آ ٢٥).

وهكذا ينتهي الأمر بالنسبة إلى داود. "فلمّا سمعَت امرأة أوريَّا أنَّ زوجها مات، ندبته. ولمّا مضت المناحة، أرسل داود وضمَّها إلى بيته وصارت له امرأة وولدَتْ له ابنًا" (آ ٢٦-٢٧).

أهكذا يفعل من كان "بحسب قلب الربّ"، كما يقول الكتاب؟ لهذا ينتهي ف ١١ من ٢ صم: "ما فعله داود كان قبيحًا في نظر الربّ".

تلك كانت خطيئة داود. ما عرف أحدٌ بالأمر. أمّا الله الذي وبَّخ قايين لأنَّه قتل أخاه، فأرسل من يوبّخ داود الذي خطئ أمام الربّ، فخسر صفة الملك، وذُكر اسمه بعد اسم النبيّ "ناتان". قال الكتاب: "فأرسل الربُّ ناثان إلى داود..." (٢ صم ١٢: ١). وأعطاه مثلاً عن ذاك الغنيّ الذي أخذ نعجة الفقير وهيَّأها لضيفه طعامًا. عندئذٍ "حمي غضبُ داود وقال لناثان: "الذي فعل هذا يُقتَل" (آ ٥). فقال ناثان لداود: "أنت هو الرجل الذي فعل هذا." وبعد أن ذكَّر النبيُّ الملك بكلِّ ما أعطاه الله، قال داود: "خطئتُ إلى الربّ" (آ ١٣). والربُّ الذي هو حنون رحيم، قال بفم نبيّه: "والربُّ أيضًا نقل عنك خطيئتك"، أي غفرها لك. لهذا، أنت "لا تموت".

وهكذا انتهى خبر خطيئة داود وغفران الله له. ولكنَّ العقاب سوف يأتي: "لا يفارقُ السيف بيتك إلى الأبد" (آ ١٠). وكُتب خبر داود مرَّة ثانية في سفر الأخبار الأوَّل، فأغفل الكاتب كلَّ ما يسوّد صفحة هذا الرجل الذي سيكون المثال لملوك إسرائيل ويهوذا. وهكذا انتظر الشعب أن يأتي ابن داود، الذي رأى فيه إنجيل متَّى "يسوع المسيح" (مت ١: ١). أمّا العهد الجديد فيكتفي بالكلام عمَّن هو ابن داود وربّ داود (مت ٢٢: ٤١-٤٦).

ذاك ما قال الكتاب المقدَّس عن خطيئة داود وتوبته.

* * *

١ – ماذا تقول عن هذا الملك التقاليد اليهوديَّة؟

"إنَّ داود الذي هو "المختار من الربّ" ينحدر نسبه من أسرة هي نفسها "صفوة بني إسرائيل"؛ فأسلافه الذين ترد أسماؤهم في مواضع كثيرة في الكتاب المقدَّس، كانوا جميعًا رجالاً متميّزين. بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ "داود" ينحدر نسبُه من "ميريام" أخت "موسى"، وبالتالي فإنَّ العرق الملكيّ في دمائه قد تقوَّى أكثر باتّحاده مع عرق الكهانة".

ذاك ما قال لويس جنزبرج في الجزء الرابع من كتابه **أساطير اليهود** (ص ٩٥). وواصل الكاتب في الصفحة عينها:

"ومن حيث التقوى والورع، فقد كان لداود قدوة في أبيه وجدّه من قبله. وقد كانت حياةُ جدّه كلُّها سلسلة طويلة من عبادة الربّ. ومن هنا كان اسمه "عوبيد"، أي العابد. كما كان أبوه يسَّى واحدًا من أعلم علماء عصره، كما كان واحدًا من أربعة ماتوا بلا خطيئة. ولو أنَّ الربَّ ما كتب الموت على جميع ذرّيَّة "آدم" يوم سقوطهم في الخطيئة، لكان يسَّى عاش إلى الأبد. لكنَّه مات بعد أن بلغ أربعمئة سنة من العمر".

ونقرأ في ما يخصُّنا من جنسبرج فصلاً بعنوان: تقوى "داود" وخطيئته:

"لا إنجازاته العظيمة من الحروب ولا حظُّه السعيد الذي لازمه طوال حياته، حوَّلاَ داود عن طريقِ المستقيم أو غيَّرَا أسلوب عيشه. وحتَّى بعدما صار ملكًا للشعب، ظلَّ مواظبًا على الجلوس عند قدمَي معلّميه...

وبجانب دراسة التوراة، فقد كان تأليف المزامير وتلحينها يستهلك جزءًا كبيرًا من بيت "داود" بطبيعة الحال. وقد ملأ الغرورُ قلبه عندما أكمل سفر المزامير، وصاح قائلاً:

– "يا ربَّ العالم! هل هناك مخلوق آخر في هذا الكون مدحَك مثلي؟" وعندها أتى إليه ضفدع وقال له:

"لا يملأنَّ الغرور قلبك هكذا، فأنا نفسي قد ألَّفتُ مزامير أكثر منك. كما أنَّ كلَّ مزمور أنشدتُه ضربتُ عليه ثلاثة آلاف مثل"" (ص ١٢٠)، وهي إشارة سريعة إلى الخطيئة (ص ١٢١).

"كان كلُّ تفكير "داودَ" منصبًّا على عمل طيّب وصالح. وقد كان من الرجال المعدودين الذين لم يكن لنوازع الشرّ عليهم من سلطان. ولم يكن بطبيعته

ميَّالاً لارتكاب فاحشة كالتي اشتملت عليها علاقته مع "بنت شوعة" (بتشابع). لكنَّ الربَّ نفسه هو الذي دفعه لارتكاب هذه الفاحشة لكي يقول للخطأة: "إذهبوا إلى داود وتعلَّموا منه كيف تتوبون".

كذلك ليس من الإنصاف أن يُدان داود بالإسراف في القتل ولا بالزنا...؛ فقد كانت هناك ظروف مخفِّفة؛ ففي تلك الأيَّام جرت العادة على أن يُعطي الجنودُ، الذين يخرجون إلى الجبهة للقتال، لزوجاتهم كتاب طلاق لا يسري مفعوله إلاَّ إذا لم يعودوا من الحرب. وهكذا، فعندما قُتل أوريَّا الحثّيّ في ميدان القتال، أصبحت زوجته بنت شوعة طالقًا منه رسميًّا. أمّا عن موت زوجها، فلا يمكن إلقاء اللوم كلِّه في موته على عاتق داود، إذ إنَّ أوريَّا نفسه استحقَّ عقوبة الموت برفضه أمر الملك له بأخذ راحته في بيته".

وهكذا بُرّئ داود من كلّ خطيئة.

* * *

٢ – والتقليد المسيحيّ؟

هنا نعود إلى ما كتبه آباء الكنيسة. ونبدأ مع يعقوب السروجيّ في القصيدة ١٦٢ (بيجان، الجزء الخامس، ص ٣٦٧ وما يلي). ماذا قال هذا الشاعر؟ خطئ داود مرَّة واحدة، ولكنَّه لا يُعتبَر زانيًا؛ فقطرة واحدة من الوحل لا تعكّر البحر الصافي، والحقل الجيّد لا يُسمَّى حقل الأشواك إن نبتت فيه شوكة واحدة.

٦٧ خطئ داود، ولأنَّه اعترف بخطيئته وجدَ جماله
رفعه الغفران كأنَّه ما رأى الخطيئة أبدًا.
وإن رُويتْ خطيئة داود من أجل هدف
٧٠ أنت لا تعدَّ هذا القدّيس مع الفاسقين.
لا يكن خبرُ داود مخلوطًا مع خبر الفاسقين
لئلاَّ يتكلَّم عليه العاهرون ويقولوا: "هو أيضًا زنى".

ألقِ في بحرٍ صافٍ قطرة واحدة من الوحل
فإن عكَّرته يمكنك الكلام عن فسق داود.
٧٥ فالكتاب يشهد بأنَّ داود ما خطئ
إلاَّ هذه الخطيئة فقط في كلِّ الأوقات، في أيَّام حياته.
فاجلسْ أنت الآن واحسَبْ وعُدَّ كلَّ (خطاياك)
ولا تقتربْ لتعُدَّ هذه الواحدة التي ليست بخطيئة.

قُلْ لي أيُّها الرجل: إن وُجد حقلٌ أرضه طيّبة
٨٠ وزرعُه حسن وطيّب وأرفع من رفاقه،
ونبتَت فيه فقط شوكةٌ واحدة لا غير
من يدعوه حقلَ أشواك لأنَّ فيه شوكة واحدة؟
وتلك الشوكة الواحدة، استأصلَها منه الفلاّح
فمن لا يخجل حين يدعو هذا، يومًا، حقل أشواك؟

ويروي السروجيّ خطيئة داود، فهو الحرّ واختار. وما حذر التجربة:

١٣٩ فالحذر مطلوب أيضًا للمختارين،
١٤٠ ويشهد داود الذي سقط إذ هو مختار.
كان يتمشَّى في قصره، في وقت المساء
وتطلَّع فرأى امرأة تستحمّ كما كُتب
(٢ صم ١١: ٢).
تركه الربُّ بلا عون لكي يجرَّب
فما استطاع أن يقوم في جهاد البرارة.
١٤٥ رفعت النعمةُ نفسها عنه فضعُفَ

واستُعبد لحركات وأهواء همجيَّة.

غلبت الشهوة ذاك الجبّار صاحب الأسماء

وقيَّدته كما برباطات نحيفة.

تلطَّخ ذاك الموقَّر في الخفاء وانحدر

١٥٠ ليسأل: "من هي تلك التي تستحمّ" ليرى جمالها؟ (٢ صم ١١: ٣)
سأل الملك العظيم عن جارية في بيته
وما عرف أنَّه حين طلبها أهان نفسه.
دخلَت الخطيئة وأخفَتْ نفسه فما رأى
كم هو بغيضٌ العمل الذي عمله في الملكوت.

١٥٥ حين تدخل الخطيئة إلى نفس فهي تخفيها لئلاَّ تنظر في ذاتها وترى أنَّها بغيضة فلا تدخل.
وأراد داود أن يخفي خطيئته بالرغم من جميع المحاولات فلم يُفلح، فعمل على قتل أوريَّا.
ولمّا أخبروه فرح (٢ صم ١١: ٢٤). عندئذٍ أرسل الربُّ ناثان النبيّ:

٣٣٥ وأشفق الربُّ على هذه النفس المليئة بالمحاسن بعد أن جعلتها الخطيئة عمياء وتحوَّل فيها النور إلى ظلام.

٣٣٩ زلَّ الجبَّار القويّ وسقط من البرارة وأمسكته الخطيئة فما استطاع أن يقوم. وتحدَّث ناثان إلى الملك وقدَّم له مثَله وبيَّن له خطيئته:

٤٤٥ وُهبَتْ له يدُ الرحمة من لدن الله فركض ودخل وسط أسوار التوبة. شعر أنَّه طُعن برمح الخطيئة،

فتعب من الوجع حتَّى انتزعه منه النبيّ.
وفي الحال، ولول أمام ناثان إذ قال:

٤٥٠ "خطئتُ إلى الله وأذنبتُ كثيرًا وعظيم هو إثمي".

وفي الحال، حمل النبيُّ الغفران مثل عمود

وأسند الملك لئلاَّ يسقط بعد أن ضعف من الوجع.

رأى أنَّه أغميَ عليه فركض وأمسكه لئلاَّ يسقط

وفي الحال قال النبيّ: "والربُّ أيضًا غفرَ ذنبك" (٢ صم ١٢: ١٣).

* * *

روى يعقوب السروجيّ وأطال روايته فتحدَّث عن خطيئة داود وعن غفران الله له، مع إشارة سريعة إلى "عصيان" أوريَّا. فلو نام في بيته لما كانت الخطيئة ظهرت بكلّ بشاعتها.

ونورد ما قاله القدّيس أمبرواز: جدُّ الفادي (يسوع المسيح) كان خاطئًا:

"إن كان داود خطئ، فلكي لا يواصل العالم كلُّه السير في الضلال. خطئ شخصيًّا ليبيّن لنا جميعًا كلَّ علاجات الخطيئة. خطئ ضدَّ جسده – فمن يقترف النجاسة يخطأ ضدَّ جسده الخاصّ (١ كو ٦: ٨) – لينال في جسد المسيح الفداء عن ذنبه. وهذا الرجل الذي كاد يبدو لنا مستحقًّا بأن يُدافع عنه في العدالة، ها هو الآن يبدو لنا أهلاً بأن يعظّم! فمن لا يفضّل أن يُحتفَل بعطايا الله فيه لا أعماله البشريَّة الخاصَّة؟...

إذًا، يكون داود تبرَّر بالإيمان! لا شكَّ بأنَّه، بالشريعة، عرف خطيئته، ولكنَّه بالإيمان آمن بغفران هذه الخطيئة. إذًا، تبرَّر الله، لأنَّ (داود) في خطيئته المقترفة في الخفاء، شعَّت أسرار الكنيسة!

ويأتي من يعترض: "ذاك الذي اختاره الله ليكون جدَّ الربّ، كيف استطاع أن يقترف الزنى والقتل؟" وسوف أقول أكثر من ذلك: وجب أن يكون ذاك الذي اختاره على أنَّه جسد الربّ؛ فهل التجسُّد شيء آخر سوى غفران الخطايا؟ فداود بدون خطيئة لم يكن باستطاعته

أن يكشف النعمة الإلهيَّة، بالمثل وبالنبوءة.

وبالقصْد ذاته، قصْد العناية الإلهيَّة، عُدَّت بتشابع وثامار هما أيضًا في سلالة الربّ، وهذا مع أنَّ واحدة اقترفت الزنى وثانية السفاح...

هل ترى جميع هؤلاء الخطأة الكبار في نسب المسيح؟ فبسببك لم يستحِ الله بأن يُولَد منهم! إن كنت تؤمن، فتلك هي عطايا الرحمة لأجلك. تلك هي العلامة الساطعة لقدرة الله؛ فإذا الخطيئة كثرت فلكي تفيض النعمة (رج رو ٥: ٢٠)، وإذا كان داود لم يُحفَظ من الخطيئة فلكي يُحفظ للنعمة".

من العالم السريانيّ، إلى العالم اللاتينيّ. وها نحن نصل إلى العالم الأرمنيّ مع نرسيس سنورهالي بعنوان: "أتوسَّلُ إليك، أنا الخاطئ، بنشيد داود":

"ما اخترتَ أيُّها الربُّ يسوع، قبيلة أفرائيم ولا خيام منسَّى، بل اخترتَ داود، من بيت لحم يهوذا، ومنه أردتَ أن تأخذ بشريَّتك. أعطيته هديَّة مضاعفة ورائعة جدًّا: مسحته ملك اليهوديَّة وجعلته نبيّ الله.

ومع ذلك، تجاوز الوصيَّة، ومرَّتين ضلَّ طوعًا: اقترف زنى مع بتشابع، وسفك دم أوريَّا. وهكذا تجلَّى بوضوح أنَّه لحم (ودم) وامتلك طبيعة بشريَّة – لا غريبة أو سماويَّة – وكان من نسل الأرضيّين. وخصوصًا، سمحتَ، من أجل الرجاء للمذنبين – أن يسقط، هو، داود العظيم لكي لا ييأس الخطأة، بل يتوبوا بسرعة ويتبعوا مثاله.

وأنا، صنعتني، إنسانًا، مولودًا من الأرض، آخر مواليد أبناء آدم، ابن الظلمة، "المولود في الإثم" (مز ٥١: ٧) والمملوء بالرذائل، عند العين المقدَّسة خلقتني من جديد من دون خطيئة، وولدتني من جديد، مسحتَني بزيتك المقدَّس لتجعل منّي ابنًا بالتبنّي لأبيك السماويّ. أمّا أنا فسقطت في الإثم، وأمسيتُ ابن صديق الخطيئة، ونجَّست المسحة المقدَّسة بأعمال الشرّير.

والآن، أتوسَّل إليك بنشيد داود. مع المزمور أتضرَّع: "أخلُقْ فيَّ أيضًا قلبًا طاهرًا. وفي أحشائي جدِّدْ روح الاستقامة. أسمعْني رنين صوت كالذي يعطي الفرح والبهجة، حين يهتف البوق الهائل ليفعل في "عظامي الذليلة". يا ربّ، إقتلعْ روحي من ذنوبه، وليتمزَّق صكُّ ديوني. أمحُ خطاياي. أمحُ خطايا الآخرين...".

* * *

٣ – القرآن والتقاليد الإسلاميَّة

بعد قراءة التقليدين اليهوديّ والمسيحيّ، نعود إلى التقاليد الإسلاميَّة.

في محطَّة أولى، نورد النصّ القرآنيَّ (سورة ص ٣٨: ١٧–٢٦)، ونشرحه. وبعد ذلك، نرافق الذين أرادوا أن يُلقوا الضوء على شخصيَّة داود.

فالذين يعرفون يفهمون. والآخرون لا يطرحون الأسئلة ويكثرون.

ولكن قبل الكلام عن الخطيئة وإرسال التنبيه بواسطة ملاكين، نتعرَّف إلى ما وهبه الله لداود من نعم غزيرة. أمثلُ هذا يخطأ؟

١٧. إصبرْ على ما يقولون، واذكر عبدَنا داود ذا الأيد وأوّاب

أي صاحب القوَّة في العبادة. كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه (إنَّه أوَّاب) رجاع إلى مرضاة الله (الجلالين) تحدَّث النصّ عن توبته قبل الكلام عن خطيئته؛ فالله "أيَّده"، قوَّاه. إذًا لا خطر عليه.

١٨. إنَّا سخَّرنا الجبال معه ويسبّحن بالعشيّ والإشراق.

يكون التسبيح (بالعشيّ)، وقت صلاة العشاء، (والإشراق)، وقت صلاة الصباح. وهو إذ تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها (الجلالين). هذا يشير إلى

المزامير أو كتاب الزبور (سورة النساء، "وأتينا داوود زبورًا"، ٤: ١٦٣).

١٩. والطير محشورة كلٌّ له وأوَّاب.

اجتمعت الطيور لتسبّح معه" (كلّ) من الجبال والطير (له أوَّاب) رجاع إلى طاعته بالتسبيح" (الجلالين). صار الطير مثالاً لداود في مسيرة التوبة.

٢٠. وشدَدْنا مُلكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب.

"قوَّيناه بالحرس والجنود، وكان يحرس محرابه في كلّ ليلة ثلاثون ألف رجل (آتيناه الحكمة) النبوءة والإصابة في الأمور (وفصل الخطاب) البيان الشافي في كلّ قصد" (الجلالين). سيأتي إليه خصمان، فينبغي أن يفصل بينهما. نلاحظ هنا أنَّ هذا الكلام يليق بسليمان الذي أعطيَ الحكمة حين صعد الجبل وطلب من الله: "أعطِ عبدك قلبًا فهيمًا لأحكُم على شعبك وأميّز بين الخير والشرّ، لأنَّه من يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا؟" (١ مل ٣: ٩). وفي الحال، عرف سليمان كيف يحكم بين "امرأتين زانيتين" (آ١٩). عندئذٍ "رأوا (= الشعب) حكمة الله فيه لإجراء الحكم" (آ٢٨). أمّا هنا، في القرآن، فسوف نعرف حُكم داود على نفسه في خطيئته.

٢١. وهل أتاك نبؤ الخصم إذ تسوَّروا المحراب؟

هي خبر خصمين صعدَا سور المعبد وأتيَا يحتكمان إلى داود. (وهل) معنى الاستفهام هنا التعجُّب والتشويق إلى استماع ما بعده (أتاك) بالحمد (نبؤ الخصم إذ تسوَّروا المحراب) محراب داود، أي مجده، حيث مُنعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة، أي خبرهم وقصَّتهم.

٢٢. إذ دخلوا على داود ففزع منهم. قالوا: "لا تخف! خصمان بغى بعضنا على بعض، فاحكمْ بيننا بالحقّ ولا تشطط، واهدنا إلى سواء الصراط.

هنا نقرأ تفسير الجلالين:

"(إذ دخلوا على داود ففزع منهم، قالوا: لا تخف) نحن (خصمان) قيل: فريقان، ليطابق ما قبله من ضمير الجمع. وقيل: اثنان، الضمير بمعناها. والخصم يُطلَق على الواحد وأكثر وهما ملاكان جاءا في الصورة خصمين وقع لهما ما ذُكر على سبيل الغرض لتنبيه داود، عليه السلام، على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة، وطلب امرأة شخصٍ ليس له غيرها وتزوَّجها ودخل بها (بغى بعضنا علىً بعض، فاحكم بيننا بالحقّ ولا تشطط) تجر (واهدنا) أرشدنا (إلى سواء السراط) وسط الطريق الصواب".

ملاكان جاءَا إلى داود، لا "النبيّ ناثان"، هو تلميح لا توضيح "على ما وقع منه".

٢٣. "إنَّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة. فقال: "اكفلنيها" وعزَّني في الخطاب".

"هذا أخي"، أي هو على ديني. وهذا يكون أساس الثقة. قالت التوراة: كان للغنيّ "غنم وبقر كثيرة جدًّا" (٢ صم ١٢: ٢). حدَّد القرآن: "تسع وتسعون". والتقت التوراة مع القرآن: للفقير "نعجة واحدة". خصمان أمام داود. وما عرف الملك أنَّه هو أحد الخصمين. وماذا عمل؟ طلب من الفقير أن يسلّمه النعجة وهو "يكفلها". هو يحافظ عليها. وبما أنَّ داود حكيم "في فصل الخطاب" "عزَّني"، كان أقوى منّي، غلبني. وفي النهاية أقنعني.

٢٤. "قال: "لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه". وإنَّ كثيرًا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض، إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقليلٌ ما هم. وظنَّ داود إنَّما فتنة. فاستغفر ربَّه، وخرَّ راكعًا وأناب".

تكلَّم داود وأعطى حكمه: أخطأ الغنيّ حين سأل نعجة الفقير وضمَّها إلى نعاجه. كان ظالمًا، جائرًا؛ فالمؤمنون لا يتصرَّفون بهذه الطريقة، بل "الخلطاء"، أي الشركاء أو الذين يُشركون الله مع من ليس الله. ما

يلفت النظر هو الطلب من المؤمنين أن يكونوا مثالاً للآخرين بتصرُّفاتهم. هكذا يقرّبونهم إلى الله وإلى الإيمان. ويلفت النظر أيضًا عبارة "وقليل ما همّ". قال الكلام: الذين يعملون الصالحات هم قلّة قليلة. هذا ما يجعلنا نلتقي مع نصّ من الأناجيل: سأل التلاميذ يسوع (عيسى): "أقليلون هم الذين يخلصون؟" (لو ١٣: ٢٣). أجل، الخلاص صعب، لأنَّه يفرض على الإنسان أن يدخل في الباب الضيّق. الطريق الواسع سهل. لا يطلب جهدًا. وكثيرون هم الذين يدخلون فيه، ولكنَّه في النهاية يقود إلى الهلاك. يقرع الإنسان الباب، فيعلن له الربّ: أنا "لا أعرفك من أين أنت" (آ ٢٦).

ظنَّ داود أنَّ الله يجرّبه، بحيث وقع في الخطيئة. ولكنَّ الله لا يجرّب أحدًا، كما يقول يعقوب في رسالته: "الله لا يجرّب بالشرور، وهو لا يجرّب أبدًا" (يع ١: ١٣)؛ فالإنسان تجرّبه شهوتُه، رغبته. والشهوة "تحبل فتلد الخطيئة. وإذا كمُلَتْ أنتجت موتًا" (آ ١٥). "فاستغفر ربَّه، لأنَّه، من جهة، ظنَّه مجرّبًا. ومن جهة ثانية، بسبب فعلته الشنيعة التي لا يوضحها النصّ القرآنيّ. وكانت النتيجة أبعد من العاطفة الخارجيَّة: "خرَّ راكعًا وأناب"، أي تاب.

٢٥. "فغفرنا له ذلك، وإنَّا له عندنا لزُلفى وحُسْنَ مآب".

ونقرأ هنا مختصر تفسير ابن كثير:

"فغفرنا له ذلك"، أي ما كان منه ممَّا يقال فيه: حسنات الأبرار وسيّئات المقرَّبين. والجديد من مذهب الشافعيّ أنَّ سجدة "ص" ليست من عزائم ("ما أوجبه الله على عباده") السجود، بل هي سجدة شكر... وروى النسائيّ: "سجدها داود توبة وسجدها شكرًا. وقوله تعالى: "وإنَّ له عندنا لزلفى وحسن مآب"، أي: العالية في الجنَّة، لتوبته وعدله التامّ في مُلكه، كما جاء في الصحيح: "المقسَّطون (أو: العادلون) على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يقسّطون (أو: يعدلون) في أهليهم وما لوَوا" (أو ما مالوا عن الحقّ). وروى الإمام أحمد: "إن أحبَّ الناس إلى الله يوم القيامة، وأقربُهم منه مجلسًا إمامٌ عادل. وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة، وأشدَّهم عذابًا، إمام مائل". (الجزء الثاني، ص ٣٨٣–٣٨٤).

شدَّد الشرح هنا على عدالة داود واستقامة حكمه، وهذا ما نقرأه في الآية التالية:

٢٦. "يا داود! إنَّا جعلناك خليفة على الأرض. فاحكم بين الناس بالحقّ، ولا تتَّبع الهوى فيُضلّك عن سبيل الله. إنَّ الذين يضلُّون عن سبيل الله، لهم عذاب شديد بما نسُوا يوم الحساب".

"الخليفة" هنا هو من يحلُّ محلّ الله، وبالتالي ينبغي عليه أن يحكم كما الله يحكم. هو "يتدبَّر أمر الناس". ثمَّ هو لا يتبع هوى النفس، فإن فعل ضلَّ سواء السبيل؛ فالويل لمن يضلّ عن الإيمان بالله وينسى يوم الحساب؛ فالدينونة آتية لا محالة، و"عذاب شديد" ينتظر الضالّين. هنا يقول ملخّص ابن كثير:

"هذه وصيَّة من الله، عزَّ وجلّ، لوُلاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحقّ. المنزل من عنده، تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه فيضلُّوا عن سبيل الله. وقد توعَّد، تبارك وتعالى، من ضلَّ عن سبيله، وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد. قال الوليد بن عبد الملك لأبي زرعة: "أيحاسَب الخليفة؟" فقال: "يا أمير المؤمنين، أأقول؟" قال: "قلْ في أمان الله". قال: "يا أمير المؤمنين، أأنت أكرم على الله أم داود، عليه الصلاة والسلام؟" إنَّ الله جمع له النبوءة والخلافة. ثمَّ توعَّده في كتابه: يا داود، إنَّا جعلناك..." (ص ٣٨٤).

وحدَّثنا الزمخشري في **تفسير الكشَّاف** عن توبة داود، وأشار بشكل عابر إلى ما فعله ابنه أبشالوم (دُعيَ هنا: أبيشا) فوضع يده على الملك. ولكنَّ داود انتصر عليه. قال:

"وأناب. ورجع إلى الله تعالى بالتوبة والتنصُّل (أي

التبرُّؤ). ورُويَ أنَّه بقي ساجدًا أربعين يومًا وليلة، لا يرفع رأسه إلاَّ لصلاة مكتوبة، أو ما لا بُدّ منه. ولا يرقأ (= يجفّ وينقطع) دمعُه حتَّى نبت العشب من دمعه إلى رأسه. ولم يشرب ماء إلاَّ وثلثاه دمعٌ. وجهد نفسه راغبًا إلى الله تعالى في العفو عنه حتَّى كاد يهلك. اشتغل بذلك عن الملك، حتَّى وثَب ابنٌ له يُقال له "إيشا" إلى ملكه. ودعا إلى نفسه، واجتمعَ إليه أهلُ الزيغ من بني إسرائيل. فلمّا غُفر له، حاربه وهزمه. ورُويَ أنَّه نقش خطيئته في كفّه حتَّى لا ينساها" (ص ٩٢٤).

هذا ما يذكّرنا بتوبة بطرس الذي خان الربَّ خلال محاكمته. ذاك ما يروي التقليد عنه؛ فطريق التوبة هي هي. المؤمن وحده يتوب، أمّا الشرّير والكافر فلا توبة عندهما.

ماذا نستخلص من هذا النصّ؟ أوَّلاً، هناك صدى للمثَل الذي وجَّهه ناثان إلى داود ليفتح له عينيه على ذنبه. ولكن حين نتوقَّف عند النصّ القرآنيّ، لا يمكن أن نعرف لماذا وجب على داود أن "يستغفر ربَّه". ولكن، كما قال بعضهم: يكتفي النصُّ القرآنيّ بما في الذاكرة ويهمُّه قبل كلِّ شيء أن يعلن أنَّ الأنبياء لا يمكن أن يخطأوا.

وجمع أبو رفاعة الفارسيّ (توفّي سنة ١٩٠٢) أخبارًا عديدة عن ذنب داود. وها هو نصٌّ وُجد في المكتبة الفاتيكانيَّة (بورجيا ١٦٥) ونشره رئيف جورج خوري سنة ١٩٧٨:

"اجتمع معلّمو الشريعة من إسرائيل وقالوا: "ما من أحد إلاَّ ويقترف خطيئة في نهار". فقال داود: "لا أوافق". وإذ فتح الزبور، تلاه. فظهر الشيطان بشبه حمامة ذهبيَّة. فقال داود: "يا الله، يا ليتني آخذها لطفل من أطفالي...". ومدَّ يده ولكنَّها هربت. فارتمى عليها أيضًا فهربت. وكان له مشربيه مع نافذة في وسطها. وتحتها، حوض فيه نساء إسرائيليَّات يغتسلن من طمثهنَّ، فأمرَّ رأسه في النافذة فأبصر امرأة تغتسل ورأى أجمل خلائق الله. تطلَّعت المرأة: فكان هناك وجه رجل. فحلَّت شعرها وغطَّت جسمها.

فأرسل داود من يقول لزوجها بأن يعود. فهو كان غائبًا وموجودًا في عمَّان. فقال الناس: "إن هو أرسلَ الله هذا البلاغ، فلصداقة فقط نحو تلك". فهي كانت جارة النبيّ داود، وهي من قالت لداود أن يعيد زوجها إليها – وإذ كان رفاقه يلحُّون عليه، قال: "لن أقترب منها قبل أن أعود قربكم". وحين وصل قال له داود: "عُدتَ إلى أخصَّائك، فالبَثْ معهم ثلاثة أيَّام وتعالَ إليَّ." استأذن ولبث مع أخصَّائه ثلاثة أيَّام وأتى إلى داود، الذي قال له: "يمكنك أن تنطلق. فانطلق نحو رفاقه. وكتب له داود أن يمسك حلقة باب القلعة. ولكنّ الاقتراب منها يعني الموت الدمويّ.

قالوا له: "لا تفعل هذا". فأجاب: "داود، نبيّ الله، كتب إليَّ فهل أعصي أمره؟ حيّ الله! لن أفعل هذا أبدًا." وأمسك حلقة الباب وهو يحارب حتَّى قُتل. حافظَت زوجتُه على زمن العفَّة بحسب الشريعة. وحين انتهت، طلبها داود للزواج وتزوَّجها".

هو الطير الشيطانيّ اجتذب داود فرأى "أجمل خلائق الله". كان بإمكان الزوج أن لا يموت، ولكنَّه ما رضيَ أن يعصي أوامر "النبيّ". هكذا خفَّت الخطيئة. وكان تيَّاران. تيَّار أوَّل يروي خطيئة داود وتوبته خلال أربعين يومًا، فكان خبر نُسب إلى إسماعيل بن عبد الرحمان، وهو مفسِّر من الكوفة توفّي سنة ٧٤٥. فإنَّ داود طلب أن يجرَّب كما جُرِّب الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب. فكان له ما أراد: أتت الحمامة، أي الشيطان... وإذ سقط، ركع ولبث باكيًا... وفي النهاية قال: "الآن، يا ربّ، عرفتُ أنَّك غفرت لي". وبعد ذلك، ما كان قادرًا حتَّى موته أن يملأ عينيه من النظر إلى السماء خجلاً أمام ربّه.

خطئ داود إذ قتل أوريَّا وأزاح شخصًا من دربه. ولكنَّه لم يزنِ. وهكذا ابتعد الخبر عمّا قالته التوراة. وقدَّم الطبريّ خبرًا يقول إنَّ أوريَّا مات كما يموت كلُّ

جنديّ في الحرب. ولم يكن لداود يدٌ في ذلك. وكان خبر آخر أقنع فيه داود أوريًا، فلبّى له طلبه، فالخطيئة ليست جريمة قتل بل جشع من يريد أن يجعل نساءه مئة امرأة.

وكان خبر معارض يُنقذ كرامة النبيّ. تَركَ كلَّ عودة إلى الخبر البيبليّ وفسّر القرآنَ بالقرآن، فأعطى ما يوافق العقيدة "اللاهوتيّة": حُفظ "الأنبياء" بالضرورة من كلّ خطيئة خطيرة لكي تصبح رسالتهم أهلاً للتصديق. قارب الشرّاح آيتين من القرآن (٣٨: ٢٤: أعلن داود حكمه قبل أن يسمع المتّهم؛ ٣٨: ٢٦: قال له الله: "أحكم بين الناس بالحقّ"، وكأنَّه من قبل ضعف فما طلب، الحقّ" حين حكم دون أن يسمع الفريقين) نستطيع أن نستخلص أنَّ ذنب داود لم يكن جريمة لا معذورة كما روتها البيبليا، بل لاقانونيّة الإجراء. ثمَّ هو ذنبٌ لا نتيجة له لأنَّه، وبالرغم من إجراء ناقص، أصاب حكمُه (الإنسان) المخطئ (أي أوريًا). وإذ أراد أن يجعل هذا المخرج مستحيلاً، حدَّد خبرُ عبد الرحمن السوديّ أنَّ داود استجوب الخصم الثاني.

عرف المسعوديّ (٨٩٠–٩٦٥) الطريقتين في الخبر وبيَّن أيَّهما يفضّل:

"في قضيَّة داود مع الخصمين، هناك ما رواه الله في كتابه، وواقع يقول إنَّه قبل أن يسمع الآخر. قال لواحد من الاثنين "ظلمك" وكان لا توافق بالنسبة إلى خطيئة داود – بعضهم قاسم الرأي الذي عرضناه الآن فاستبعد أن يكون الأنبياء استطاعوا أن يعصوا لأنَّهم كانوا معصومين. إذًا كان الذنب ما أوردنا وما تشير إليه الآية: "يا داود جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس بالحقّ" (٣٨: ٢٦) – وظنَّ آخرون أنَّنا أمام خبر أوريًا ومقتله، وهو ما أوردناه في كتاب المبتدأ (أي أخبار التاريخ القبل إسلاميّ) وفي أمكنة أخرى".

ذاك ما قاله في القرن العشرين سيّد قطب (١٩٠٦–١٩٦٦) رافضًا ما تقوله "إسرائيليّات" أو الروايات اليهوديّة. "هي لا تستحقُّ إطلاقًا أن نتفحَّصها، فهي لا تتوافق مع كلام الله: "وإنَّ له عندنا لزلفى وحسن مئاب" (٣٨: ٢٥). وننهي مع تفسير البيضاويّ (توفّي سنة ١٢٨٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل" لما في آ٢٤ "خرَّ راكعًا وأناب" أو تاب. قال معبّرًا بوضوح عن رأيه بخطيئة داود:

"عاد إلى الله تائبًا. والموضوع هنا هو أنَّه أراد أن يمتلك ما كان مُلك آخر، مع أنَّه كان عنده مثلها. حذَّره الله بفضل هذا الخبر فاستغفر الله وتاب.

أمّا الخبر الذي نُقبل (حطَّ نظرًا على امرأة واشتهاها وعمل لكي يتزوَّجها، ومنها ولدَت سليمان) إن كان صادقًا، فقد يكون فقط طلب خطيبة آخر، أو ربَّما سأل آخر أن يتخلَّى عن زوجته، وتلك كانت عادة لديهم. فعزَّى الأنصار المهاجرين مع هذا الشرح.

ولكن، ما قيل إنَّه أرسل أوريًا إلى الحرب أكثر من مرَّة وأمر بأن يوضع إلى الأمام بحيث يُقتَل فيأخذ له امرأته، فهو لغو وافتراء. لمثل هذه الأمور قال علي: "من يروي حديث داود مثل "الواعظين" أجلده مئة وستّين ضربة".

الخاتمة

انطلقنا من نصّ التوراة في سفر صموئيل الثاني، فاكتشفنا خبر خطيئة داود حين زنى مع بتشابع، امرأة أوريًا، أحد قوّاد يوآب في الحرب على بني عمُّون (أي عمَّان الحاليَّة). وإذ لم يقدر أن يخفي زناه أرسل فقتل أوريًا وأخذ له امرأتَه زوجة. أتاه النبيّ ناثان موبّخًا، فأعلن: "خطئت إلى الربّ". فردَّ ناثان: "والربُّ غفر لك خطيئتك".

أرادت التقاليد اليهوديَّة أن تخفّف ذنب داود، فاعتُبرت خطيئته عابرة. أمّا آباء الكنيسة فكشفوا في شخصيَّة داود الخاطئ أمثولة للمؤمنين لئلاَّ ييأسوا إن هم خطئوا.

وقرأنا "سورة ص" (٣٨: ١٧–٢٦)، وبعد أن

شرحناها آية آية رحنا نسير في خطى الشرّاح، فكان لنا أنَّ الأوَّلين لبثوا قريبين من نصّ التوراة، ثمَّ أخذوا يبتعدون شيئًا فشيئًا. وفي النهاية، تركوا المصادر التوراتيّة واكتفوا بشرح النصوص القرآنيَّة. أمّا همُّهم الأوَّل فهو التشديد على أنَّ الأنبياء لا يمكن أن يخطأوا؛ فنصُّ القرآن لم يوضح ما حصل. وبدلاً من أن يُحكم على داود بفم ناثان النبيّ، بدأ هو فحكم على الخصم دون أن يسمع الخصم الآخر. وفي النهاية، استغفر الله وتاب.

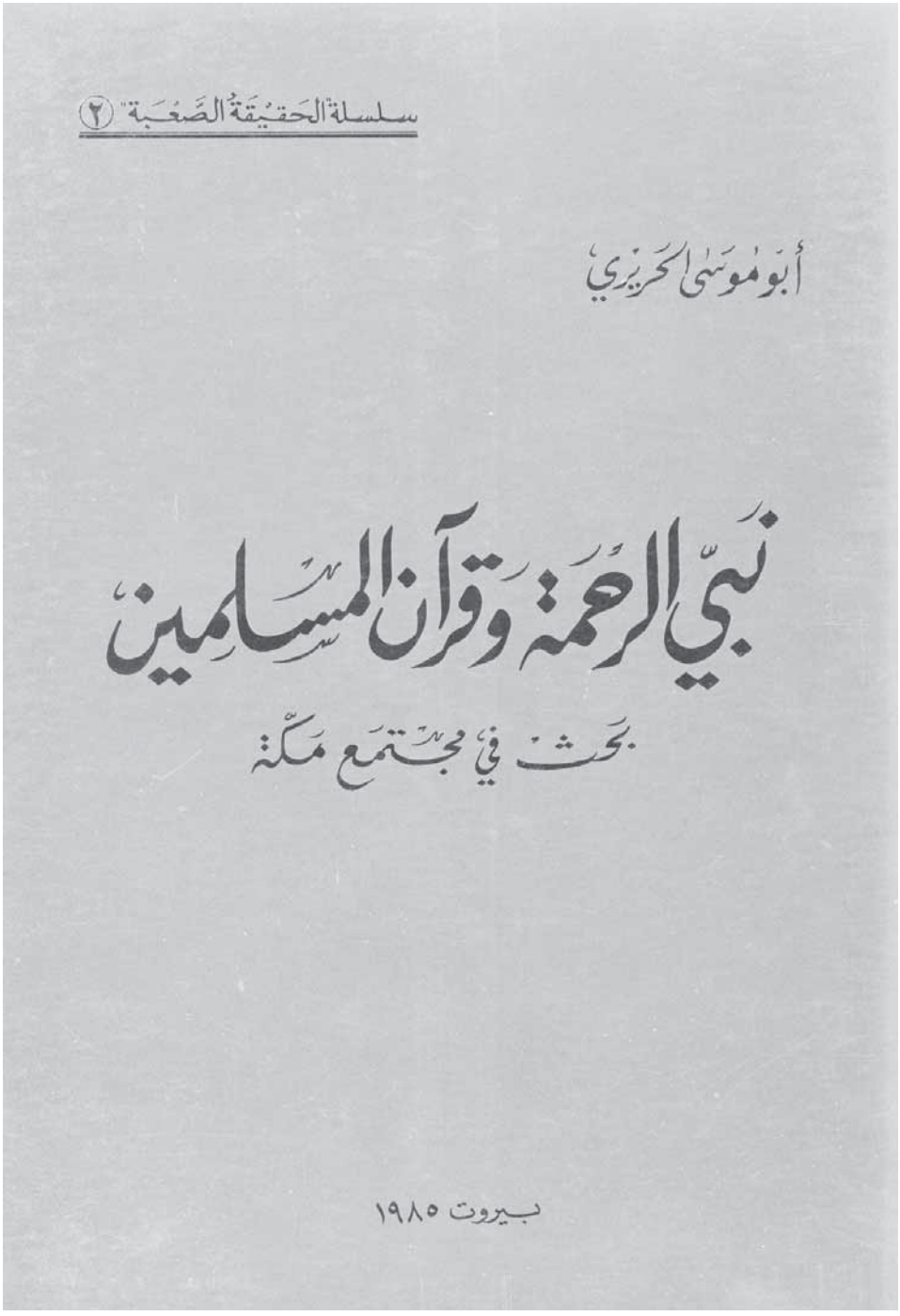

"المسيح" في القرآن
ملخّص أفكار جويتن وزكرياس وسيبيل

الأب بِيتِر حنّا مدروس
دكتور في العلوم البيبليّة

من النظريّات المنتشرة أنّ تقديم القرآن للمسيح من أصل نصرانيّ (أي من البدع اليهوديّة المسيحيّة)، حسب رأي الأرشمندريت الراحل يوسف درّة الحدّاد والياس المرّ، أو إبْيُونيّ (موقف الأب جوزيف قزّي)، لن يعاد هنا أيٌّ من هذه المواقف بل سيؤخذ اتّجاه آخر مفاده أنّ ذكر "عيسى" ومريم والاعتراف القرآنيّ بهما صوريّ لا جوهريّ، وأنّهما في نهاية المطاف عبارة عن "فِرْنيش" (vernis)، أي غطاء لامع ليس إلاّ، وذلك بناء على النقاط التالية:

١- لا يتبنّى القرآن أيّة أخلاقيّات مسيحيّة إنجيليّة؛ فإكرامه للمسيح ولوالدته ليس عمليًّا، ولا يؤثّر على أخلاقيّات القرآن و"الإسلام". ولعلّ المرء يقدر أن يصف إكبار القرآن للمسيح ووالدته بأنّه "يكرم يسوع ومريم بشفتيه ولكنّ قلبه بعيد عنهما"، والقدوة المثلى في الإسلام ليست المسيح بل محمّد، مع أنّ القرآن يشير إلى يسوع بأنّه "كلمة الله وروح منه"، و"نفخة من روح الله"، وأنّه هو ووالدته "آية للعالمين"، وأنّه "وجيه في الدنيا والآخرة" ورحمة.

٢- اليهوديّة واضحة تبلغ في بعض كتاباتها الصراحة حدّ القساوة والوقاحة، والذمّ ليسوع ومريم والقدح بهما: لا تعترف بأنّ يسوع هو المسيح، وتقول إنّه يجب انتظار آخَر (نذكر السؤال الموجّه الى المعمدان: "أأنت الآتي أم ننتظر آخَر؟"). المسيحيّة شفّافة واضحة: المسيح هو الآتي ويجب عدم انتظار آخر. الإسلام يقول إنّ يسوع هو المسيح ولكن... يجب انتظار آخَر بعده (أي محمّد)؛ فليسوع اللقب ولمحمّد الواقع. ويبيّن جليًّا وبشكل واضح هذا الموقف الذي يضمره القرآن الكتابُ المزيَّفُ المدعوُّ **إنجيل برنابا** إذ يدّعي أنّ يسوع هو "كريستو" وأنّ محمّدًا هو "المسيّا".

٣- في حين يؤكد القرآن مباشرة أنّ "عيسى" (سنعود إلى هذا الاسم) هو هو المسيح، غير أنّه بشكل غير مباشر ينكر ذلك أو على الأقلّ لا يتيقّد في شأنه بالمقاييس الدينيّة والتاريخيّة، ولا سيّما نسب المسيح؛ فالمسيح هو الملك ابن داود (في العبريّة "مِلِخْ هَمّشِيَح"). يغفل القرآن –أو يجهل– شخصيّة مار يوسف، وهو الأب الشرعيّ ليسوع الذي يجعل يسوع شرعًا "ابنَ داود"، إذ هو رسميًّا "ابن يوسف ابن داود". وإذ يربط القرآن مريم و"عيسى" بآل عمران، وهم أهل موسى وهارون، وبما أنّ مريم هي الأصل البشريّ الوحيد ليسوع، فإنّه، أي يسوع، ابن سبط لاوي وليس سبط يهوذا، فلا يمكن أن يكون المسيح الملك.

٤- المسيح هو المخلّص وليس مجرّد نبيّ. وإذ ينكر القرآن أنّ يسوع هو المخلّص، فإنّه يفرغ اللقب من مضمونه المميّز. ويعلن كتاب برنابا المزيّف أنّ محمّدًا هو مخلّص العالم .

٥- حسب المفهوم التقليديّ والمصادر اليهوديّة -التي هي المرجع في هذه الأمور- المسيح هو الممسوح بالزيت لأنّه النبيّ والكاهن والملك. ولا يعترف القرآن ليسوع إلاّ بالصفة الأولى.

٦- أتباع المسيح "مسيحيّون". والقرآن يشير إلى يسوع بأنّه "المسيح"، وإلى أتباعه بأنّهم "نصارى"، وهو في ذلك يتّفق -بقصد أم بغير قصد- مع اليهوديّة: إنّها لا تعترف بيسوع "مشيحا"، وتسمّي منطقيًّا أتباعه "نُوتْسْرِيمْ"، أي المؤمنين بيشوع الناصريّ.

ملحوظة : يتطرّق القرآن في موضع آخر إلى البيزنطيّين ويصفهم بـ"الروم"، ولعلّ اللفظة سياسيّة قوميّة أكثر منها عقيديّة إيمانيّة دينيّة. والحقّ أنّ قومًا يميّزون في القرآن بين "النصارى" (ويرون أنّهم اليهود المتنصّرون، أي المهتدون إلى المسيحيّة الناقصة عقائديًّا، المتمسّكة بقشور الشريعة الموسويّة)، وبين "الروم"، وهم المسيحيّون من أصل وثنيّ، وهم "الأرثوذكسيّة" المسيحيّة.

٧ - المخلّص "اسم يطابق المسمّى ("إسمو على جسمو"): اسمه "يهوشواع"، أي "يهوه يخلّص". ومع أنّ العربيّة أقرب إلى العبريّة منها إلى اليونانيّة، غير أنّ القرآن لا يتبنّى الاسم العربيّ "يشوع" رغم أنّه قريب جدًّا من "يهوشواع" العبريّة المختصرة بلفظة "يشواع"، بل يأخذ لفظة "عيسى" التي يختفي منها كلّ أثر للخلاص. وجدير بالملاحظة أنّ اليهود التلموديّين وسائر بني إسرائيل الرافضين لمشيحانيّة يسوع الناصريّ قصدوا أن يزيلوا في العبريّة مفهوم الخلاص من اسم يسوع، فحذفوا حرف "العين" الأخير، فأصبح "يِشُو"، وهي كلمة لا معنى لها، ثمّ ألّفوا على كلّ حرف كلمة:

ي: ييمّاح = ليُمْحَ

ش: شمو = اسمه

و: وزخرو = وذكره.

بما أنّ القرآن ينكر أنّ يسوع هو المخلّص الفادي، فإنّه -منطقيًّا- ينكر صلب المسيح أداة الفداء[1].

صحيح أنّ عددًا من المفسّرين المسيحيّين يشرح عبارة "وما قتلوه ... بل شبّه لهم"[2] بالانتماء التشبيهيّ (الذوقيتيّة) التي كانت تقول أنّ ليسوع شبهَ جسدٍ، وهي تأنف أن يكون كلمة الله قد أخذ جسدًا بشريًّا حقيقيًّا؛ فهل للتشبيهيّة الذوقيتيّة أصل عبريّ أيضًا؟ أي هل هي من البدع اليهوديّة المسيحيّة التي يشير إليها قوم بـ"النصرانيّة"؟

٨ - "عيسى": من أين أتت هذه للفظة؟

- يرى قوم (ومنهم الأب يعقوب سعادة) أنّ اللفظة "عيسى" آتية من اليونانيّة "يِسُوسْ"، وهي اللفظة المُيَوْنَنَة (forme grecisée) ليشوع (مع أنّ اليونانيّة أوجدت أيضًا مقابلاً لها لفظ "ياسون").

- ربط "عيسى" بالمغفّل "عيسو"، ويكون اليهود وراء تلك التسمية التشويهيّة. يكتب الأب لويس شيخو[3]: "عندنا أنّ هذا التبديل جرى على يد اليهود الذين أدخلوه في العرب بغضًا بالنصارى، فدعوا يسوع باسم "عيسى" أو "عيسو"، وهو أخو يعقوب الذي نفاه

(١) سورة النساء ١٦٥.

(٢) سورة النساء ١٦٥.

الله من شعبه، وكان هو وقومه الأدوميّون يعدّون رجسًا في بني إسرائيل، فقلبوا اسم يسوع ونقلوا عينه إلى أوّله، فجعلوا الرأس ذنَبًا". وكتب الأب شيخو أيضًا[٤]: "ومن عجب العجاب أنّنا لم نجد ذكرًا لهذا الاسم "عيسى" بين أعلام العرب في الجاهليّة (أي قبل الإسلام). ولعلّ رسول الإسلام أخذ هذه الصورة من يهود يثرب الذين رووه كذلك بغضًا بالنصارى وإشارة إلى عيسو".

"الأناجيل المنحولة" أيضًا، كـ**الإنجيل العربيّ للطفولة**، تذكر اسم "يشوع" لا "عيسى".

– ويقول الأب شيخو[٥]: "وزعم بعضهم أنّ أصل عيسى "عوسى"؛ قلبوا الواو ياء فصارت "عيسى". ويمكن أن يفترض المرء أنّ لفظة "عيسى" هي "يسوع" مقلوبة "عوسى".

– ويبدو أنّ "العيس" هو السائل المنوي (حسب رأي كمال الصليبي). والعيس هي الإبل.

٩ – الخبر السارّ في العهد الجديد هو ميلاد يسوع والفداء الذي أنجزه بالتجسّد والآلام والقيامة المجيدة. والقرآن يقول إنّ الكتاب الذي أنزله الله على "عيسى" هو "الإنجيل"، وهي كلمة يونانيّة مركّبة من "إوَ– نْجِلْيُون"، وتعني البشرى السارّة. ولكنّ الخبر المفرح في القرآن هو مجيء محمّد؛ فليسوع ولكتابه اللقب، ولمحمّد وكتابه الواقع.

١٠– في التحليل النهائيّ تعتمد هويّة "عيسى" على هويّة والدته مريم، "أخت هارون" و"بنت امرأة عمران" (أي بنت عمران)؛ فهل قصد القرآن أنّ مريم أمّ يسوع كانت فعلاً شقيقة موسى وهارون وبنت عمران ويوكبد (التي لا يذكر اسمها)؟ في هذه الحالة يكون القرآن قد مدح شخصيّة يهوديّة من العهد القديم عاشت قبل العذراء والمسيح بنحو ألف ومئتي سنة. ويستنتج المرء حينها أنّ "عيسى" من سبط لاوي، فليس المسيح الملك سليل داود من سبط يهوذا. وقد يرى قوم هنا أنّ القرآن تبنّى الموقف الحشمونيّ القمرانيّ القائل بمشيحَين: مشيح روحانيّ من سبط لاوي (أي يسوع!)، ومشيح سياسيّ عسكريّ (وفي هذه الحالة يقترح الإسلام محمّدًا بن عبد الله).

وإذا كان القرآن، كما يكتب الشيخ الشعراوي، يتكلّم على عميرام (عمران) آخَر، وهارون آخَر، وموسى آخَر (مع أنّ القرآن –مثل التلمود– لا يصف مريم بنت عميرام بأنّها أخت موسى بل أخت هارون[٦]، فيصعب على المرء أن يتصوّر كلّ هذه الصدف بتشابه كلّ تلك الأسماء.

١١– اللقب الذي يصرّ عليه القرآن في شأن "المسيح"، أي "عيسى ابن مريم"، هو للتأكيد، من جهة، أن لا أبًا بشريًّا له، ولكن قد يعني ذلك أيضًا أنّه ليس "ابن الله"[٧].

١٢– معروف أنّ القرآن يأخذ عبارة "كلمة الله" أو "كلمة من الله" (مع أنّها قيلت قرآنيًّا فقط في المسيح) بالمعنى المخفَّف المفرغ لألوهيّة المسيح إذ شبّه يسوع بآدم أنّ الله خلقه بكلمته تعالى، فأضحى "كلمة من الله". ولكن، من ناحية أخرى، يرى المرء أنّ عيسى "يخلق" كهيئة الطير، مع أنّ الخلق من ميزات الله دون سواه، ويخفّفها القرآن بعبارة

(٣) لويس شيخو، **النصرانيّة وآدابها**، ص ١٨٦.

(٤) **المؤلّف المذكور**، ص ٢٤٣.

(٥) **المؤلّف المذكور**، ص ١٨٦.

(٦) راجع **سوتا** ١٢ أ–ب.

(٧) رأي أنطوان موصلّي في كتابه: **اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام**.

"بإذني"، أي بإذن الله (سورة المائدة). ومن ناحية ثالثة، يتكلّم الله في القرآن في صيغة الجمع ("إنّا فتحنا لك فتحًا مبينًا")، ولكنّه يتكلّم في صيغة المفرد (المتكلّم) عندما يخاطب "عيسى" : "إنّي متوفّيك ورافعك إليّ".

ويذهب بعض المفكّرين المسيحيّين (منهم الأبوان يعقوب سعادة وفرتوناتو ريلوبا الفرنسيسكانيّ) إلى القول بأنّ القرآن يؤكّد ألوهيّة المسيح في بعض النصوص وحتّى الثالوث الأقدس[٨]، ويرون مؤشّرًا إلى ذلك إنكار القرآن لصلب المسيح ممّا يثبت ألوهيّته.

١٣– ليس المسيح ووالدته في المسيحيّة "إلَهَين من دون الله"، ولكن هل المقصود في "أمّ المسيح" روح القدس، كما كانت تتوهّم إحدى البدع اليهوديّة–المسيحيّة التي كانت تأنف أن يكون كلمة الله المتجسد ابن امرأة من بنات حوّاء وبنات هذه الأرض، فافترضت – بما أنّ "رُوَاحْ" مؤنّثة في العبريّة– أنّ "روح القدس" هي أمّ المسيح (ومريم ربّما أمّ يسوع الإنسان فقط!)، كما ورد في "**الإنجيل الى العبرانيّين**" ٤ أ. وقد كتب أوريجانوس في تفسيره لإنجيل يوحنّا ٢: "أخذتني لتوّها أمّي روح القدس من شعري إلى طابور، الجبل (الطور) العظيم".

ولكنّ القرآن معروف بواقعيّته بحيث ترد دائمًا عبارات "والدة المسيح" أو "أمّه"، وهي تشير إلى السيّدة مريم ("أمّه صدّيقة، كانَا يأكلان الطعام" – أي يذهبان إلى بيت الخلاء ، وهذا إنكار واضح لألوهيّة المسيح).

١٤– ايمان المسيحيّة منعوت بالكفر في القرآن، أي أنّ يسوع هو ابن الله، وأنّه هو الله (**سورة التوبة**) . ولا فرق عندنا بين العبارتين لأنّ "ابن الله" تعني "كلمة الله"، "والكلمة لدى الله، والكلمة هو الله" (عن يو ١: ١ب–ج).

١٥– لا يرد في القرآن ذكر "بيت لحم" (ولا ذكر أيّة مدينة أخرى في فلسطين)، مع أنّها المدينة التي وجب أن يولد فيها المسيح الملك الذي هو السلام (عن ميخا ٥ : ١ و٥). ويلمح النصّ القرآنيّ الذي يذكر "النخلة" إلى أنّ الميلاد تمّ في موضع ما في الصحراء. هل هذا إنكار إضافيّ، غير مباشر، أنّ يسوع هو المسيح ؟ أهنالك تلميح إلى أنّ الوليد المعجزة هو ابن هاجر التي هربت إلى الصحراء وتمنّت الموت ("يا ليتني متّ قبل هذا وصرتُ نسيًا منسيًّا")؟

١٦– يعلن القرآن أنّ "عيسى" "رسول الله" إلى بني إسرائيل فقط[٩]. ولا شكّ عنده أنّ محمّدًا أُرسِل للناس أجمعين. بهذا يجعل القرآن "عيسى" نبيًّا من العهد القديم أو آخر أنبياء العهد القديم. وهكذا يفرض القرآن ضمنًا أنّ عيسى كان السابق لمحمّد، فيأخذ قرآنيًّا يسوع (بشكل غير معلن) دور يوحنا المعمدان، ويأخذ محمّد دور يسوع المخلّص والنبيّ النهائيّ. ويأتي **كتاب برنابا المنحول** ليبيّن صراحةً ما أضمره القرآن، فأصبح فيه ظاهرًا ما كان في القرآن باطنًا أو مبطّنًا أو مضمرًا.

١٧– مثل اليهوديّة، لا يشير الإسلام (القرآن) إلى التوراة بعبارة "العهد القديم" ، كما لا يشير إلى "الإنجيل" بأنّه "العهد الجديد". ولا ترد أيّ من العبارتين في القرآن بتاتًا. ألعلّ السبب أنّ القرآن نفسه –في نظره ونظر محمّد والإسلام– هو

(٨) مثلاً، في تفسير معيّن لسورة النساء ١٧١.

(٩) عن سورة الصف ٦.

"العهد الجديد"، وكلّ من سبقه وكلّ ما سبقه "عهد قديم"؟

١٨- ذكر المسيح ووالدته باسميهما (مهما كان تأويل الاسمين ومهما كانت الهويّتان) يأتي في خضمّ من الأنبياء اليهود من العهد القديم، ولا ذكر لأيّ من رسل المسيح. ومعروف النفور الإسلاميّ (واليهوديّ) من بولس.

١٩- لا شكّ في أنّ القرآن معجَب ببتوليّة مريم (مهما كانت هويّتها)، وبمعجزات "عيسى"، وإن كانت روايته لبعضها شبيهة بالكتابات المسيحيّة المنحولة التي اشتهرت بإسهابها وصبيانيّتها.

٢٠- "عيسى" القرآنيّ معزول (وإن أشار القرآن إلى الحواريّين)، ولا وجود للكنيسة التي أسّسها (إلاّ تحت صيغة "البِيَع" أي المعابد الحجريّة للنصارى). ولعلّ "الأمّة" الإسلاميّة أقرب إلى الـ"كاهال" و الـ"أومّاه" العبريّة منها إلى الكنيسة؛ فلا كهنوت ولا قربان ولا أسرار. والمائدة من السماء (الفصل الخامس من القرآن) التي أنزلت على "عيسى" ليست القربان الأقدس لا من قريب ولا من بعيد، وقد تكون مستلهمة من السماط المنحدر من السماء الذي رآه بطرس الرسول، ولكنّه أفرغ من معناه المفيد عدم التمييز في الأطعمة بين طاهر ونجس، إذ حافظ القرآن على هذا التمييز العبريّ الأصل.

٢١- يعتقد ر . دسترب أنّ اعتراف القرآن الصوريّ بالمسيح سيف ذو حدّين: فهو من جهة عنصر حوار وتقارب، ومن جهة أخرى هو عامل سلبيّ إذ يمنع مسلمين كثيرين من اعتناق المسيحيّة بما أنّ إيمانهم "الإسلامي" يقبل عيسى مشيحا، ويكرم أمّه بتولاً ووالدة وصدّيقة.

خاتمة

يرى المرء تباينًا أي تفاوتًا أو فرقًا بين الذكر الاسميّ والدور الفعليّ لبعض الشخصيّات في القرآن؛ فكليم الله مذكور أكثر من يسوع كلمة الله، ويسوع مذكور أكثر من محمّد، مع أنّ محمّدًا هو قلب القرآن والإسلام. وهذه هي الأرقام، فهل تتكلّم؟ ورد ذكر "موسى" في القرآن أكثر من مئة مرّة، و"عيسى" خمسًا وعشرين، و"مريم" أمّ عيسى (التي تقول بعض المصادر الإسلاميّة -لا النصّ القرآنيّ- أنّها ستكون من أزواج محمد في الآخرة) أربعًا وثلاثين مرّة . أمّا "محمّد" فقد ذكره القرآن بالاسم أربع مرّات فقط، ومرّة واحدة تحت اسم "أحمد".

ويرى القدّيس توما الأكوينيّ أنّ "البدع تتلخصّ في تقليلها من قدر السيّد المسيح". ويكتب ب. ده رم: "لا يشذّ القرآن (المصحف العثمانيّ حسب التقليد الإسلاميّ) عن هذه القاعدة".

المراجع

شيخو لويس، **النصرانيّة وآدابها**.

موصلّي أنطوان، **اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام**.

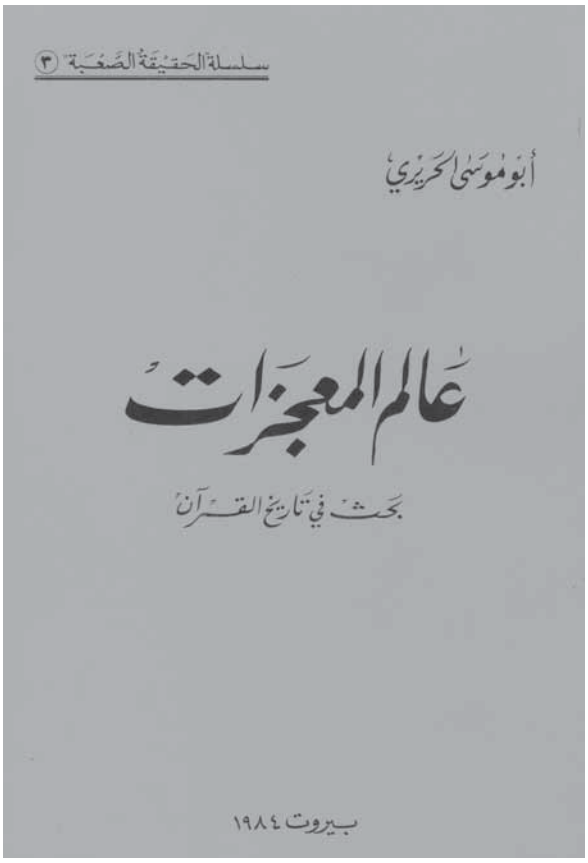
سلسلة الحقيقة الصعبة ③
أبو موسى الحريري
عالم المعجزات
بحث في تاريخ القرآن
بيروت ١٩٨٤

سلسلة الحقيقة الصعبة ④
أبو موسى الحريري
أعربي هو؟!
بحث في عروبة الإسلام
بيروت ١٩٨٤

يسوع وعيسى في الإنجيل والقرآن

الشدياق فؤاد فهد
مجاز في اللاهوت

تمهيد

المسيح، يسوع المسيح، عيسى المسيح... شخصيّة أخذت أهمّيّتها في "الديانات السّماويّة" الثلاث: اليَهوديَّة (المسيح هو المُنتَظَر)، المسيحيَّة (المسيح يسوع ابن الله الحي)، الإسلام (المسيح عيسَى رسول الله الذي آتى أهل الكتاب التّوحيد). تتفق الديانات الثّلاث المذكورة على وصف هذا الشّخص بـ"المسيح"؛ ففي حين رفض اليهود في مقولاتهم وكتاباتهم (خاصّةً في التّلمود) شخص يسوع على أنَّهُ المسيح، واصِفينَ إيّاه بالمُشَعوذ[١] والسّاحر[٢]، وظَلّوا يَنتَظِرون المسيح الآتي (عِلمًا أنَّ بعض العُلماء اليهود وَصَفوهُ بـ"الأخ"[٣])، قَبِلَهُ المُسلِمونَ على أنَّهُ نَبِيٌّ كَبير، وأرفقوا اسمَهُ بعبارة "عَلَيْهِ السَّلام" كما سائِر الأنبياء، ولكنَّهُ يَشغَل في القُرآن حَيِّزًا هامًّا من التَّفكير، ويرتبط اسمُهُ بالكثير من العِبارات التي تَتَوَجَّه في غالبيَّتها إلى "أهل الكتاب" لتستهدف خاصَّةً النّاحِيَة العَقَائِدِيَّة في إيمانِهِم.

في المسيحيَّة، إسمُ يَسوعَ مُشتَقٌّ من العِبريَّة– الآرامِيَّة "يشوع" ويَعني "الله يُخَلِّص"، وهذا الاسم يَختَصِرُ رِسالَتَهُ كُلَّها. ولكِنَّ اسمَ المسيح في الإسلام ليس "يسوع" بل "عيسى"، وقد درجت عِند الكثيرين فكرة أنَّ هذا الفرق بالتَّسمِيَة ناجِم عَن تَعَرُّف عَرَب الجَزيرَة على شَخصِيَّة يَسوع من شَخص يَتَكَلَّم اللغة اليُونانِيَّة، إذ يُسَمَّى "Ihsouj"، وهو اللفظ الأقرب إلى "عيسى". بينما جاءَ في "السّيرَة الحَلَبِيَّة" التَّالي: "قيلَ في عيسى إنَّهُ عَرَبِيٌّ مُشتَقٌّ من العيس: وهوَ بَياضٌ يُخالِطُهُ صُفرَة؛ وَأنَّهُ أعْجَمِيّ. كما قيلَ عِبرانيّ، أو سُريانيّ"[٤]؛ في حين يَقول الزّمخشريّ: "عيسى، مُعَرَّب من إيشوع ومُشتَقَّهُما من المِسح، والعيس كالرّاقِم في الماء"[٥]. على الرّغم من تَعَدُّد التّفسيرات لهذا الاسم، يَبقَى أنّ الكَثير من المُسلِمين اليَوم، يَبنون نَظرَتَهُم تجاه المسيحيّين على أساس ما يَقولُهُ القُرآن عَنْهُم وَعَن "نبيّهم عيسى"– "ابن مَريَم"– وغالبًا ما يُشَدِّدونَ على بُنُوَّته لمريم لأنَّهُم

(١) ر ج R. T. Herford, *Christianity in Talmud and Midrash*, Londres, 1903, p. 35-95.

(٢) ر ج J. Klausner, *Jésus de Nazareth. Son temps, sa vie, sa doctrine*, Paris, 1933, p. 24-25.

(٣) ر ج H. Waldenfels, *Manuel de théologie fondamentale*, Cerf, Paris 1997, p 330-335.

(٤) **الحلبي علي بن برهان الدين**، السّيرة الحَلبيّة في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، بيروت، ١/٥٥٤، في: يوسف عودة، **الشخصيّات البيبليّة في القرآن والإسلام (مصادر وفاق واختلاف)**، غوسطا ٢٠١٢، ص ١٩٣.

(٥) **الزمخشريّ**، تفسير الكشاف، **شاهين محمّد عبد السلام** (ترتيب وضبط وتصحيح)، ٢٠٠٦، طبعة رابعة، بيروت، دار الكتب العلميّة، في: يوسف عودة، **الشخصيّات البيبليّة في القرآن والإسلام**، المرجع المذكور، ص ١٩٤.

يُؤمنون أنَّهُ لَم يُولَد من زرع بشريّ، وَقَدْ وَرَدَ اسْمُهُ خمسًا وعشرين مَرّة في القُرآن[٦]...

في بحثنا هذا سنُحاول الإجابة على الأسئِلَة التَّاليَة:

١. مَن هُوَ المسيح–عيسى ابن مريم– في القرآن، وما هي عناصر الكريستولوجيّا القرآنيّة؟

٢. كَيفَ يتقارب التّعريف الإسْلامي مَع ما ورد في الإنجيل، وكيف يُخالِفهُ؟

في أجوبتنا، سَنُقارِن النُّصوص الواردة في الإنجيل والقُرآن في ما خَصَّ المَسيح، البِشارة والحبل به، ولادتَهُ، صلبه وموته ودفنَهُ، وصعوده إلى السَّماء. وعلى أساس هذه المُقارَنَة نَخلُص إلى الإستِنتاجات.

١– بين القرآن والإنجيل

في هذا الجَدوَل، نَستَعرِضُ الآيات المُتَقابِلَة بِحَسَب المَواضيع التي سَنَتَطَرَّق إلَيْها في مَعرِض حَديثِنا عَن النَّظرَتَين بحسب التّرتيب الآتي: شَخص يَسوع، والبِشارَة بِهِ، وميلاده وطفولته، ورسالتهُ، وصَلبهُ، وغفرانه للخطايا...

أ– شَخص يَسوع	
القرآن	**الإنجيل**
أ.١– ليس لله وَلَد: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (الأنعام ١٠١).	أ.١– يَسوع المَسيح هو ابنُ الله: وصوت من السماوات قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت (مت ٣: ١٧). فقال لهم: "ومن أنا في رأيكم أنتُم؟"، فَأجابَ سِمعان بُطرُس: "أنتَ المَسيحُ ابنُ اللهِ الحَيّ" (مت ١٦: ١٥–١٦). فَظَلَّ ساكِتًا، لا يَقولُ كَلِمَةً. وَسَأَلَهُ رَئيسُ الكَهَنَةِ ثانِيَةً: "هَل أنْتَ المَسيحُ ابنُ اللهِ المُبارَك؟" فَاجابَهُ يَسوع: "أنا هُوَ. وَسَتَرَوْنَ ابْنَ الإنْسانِ جالِسًا عَنْ يَمينِ اللهِ القَدير، وَآتِيًا مَعَ سَحابِ السَّماء! (مر ١٤: ٦١–٦٢).
أ.٢– يَسوع ومريم ليسا بِإلهَيْن: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (المائدة ١١٦).	أ.٢– مريم هِيَ أمَةُ الله المُتَواضِعَة فَقالَت مَريَم: "أنا خادِمَةُ الرَّبّ: فَلْيَكُن لِي بِحَسَبِ قَوْلِكَ" (لو ١: ٣٨) فقالت مَريَم: "تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبّ، وَتَبتَهِجُ روحِي باللهِ مُخَلِّصي" (لو ١: ٤٦–٤٨).

(٦) يوسف عودة، **الشخصيّات البيبليّة في القرآن والإسلام**، المرجع المذكور، ص ١٨٨–١٩٣.

أ.٣– يسوع مَخلوق كآدَم: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (آل عمران ٥٩).	أ.٣– كان الابنُ مَعَ الآب مُنذُ البَدء: في البَدءِ كانَ الكَلِمَة، والكَلِمَة كانَ عِنْدَ الله، وَكانَ الكَلِمَةُ الله. هُوَ في البَدءِ كانَ عِنْدَ الله. بِهِ كانَ كُلّ شَيء، وَبِغَيْرِهِ ما كانَ شَيءٌ مِمَّا كان. فيهِ كانَتِ الحَياة، وَحَياتُهُ كانَتْ نورُ النَّاس (يو ١: ١–٤، ١٤).
ب – البشارة بيسوع	
ب.١– إبنًا وَجيهًا في الدُّنيا والآخِرَة إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (آل عمران ٤٥).	ب.١– ابن العَلِيّ، المَسيح، مَلِك إسْرائِيل فَقالَ لَها المَلاك: "لا تَخافي يا مَريَم، نِلتِ حُظوَةً عِنْدَ الله: فَستَحْبَلينَ وَتَلِدينَ ابْنًا تُسَمِّينَهُ يَسوع. فَيَكونُ عَظيمًا وَابن العَلِيّ يُدعَى، وَيُعطِيْهِ الرَّبُّ الإله عَرشَ أبيهِ داود، وَيَمْلِك على بيت يَعقوبَ إلى الأبد، وَلا يَكونُ لِمُلْكِهِ نِهايَة!" (لو ١: ٣٠–٣٣).
ب.٢– خَليقَة مُمَيَّزَة: قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (آل عمران ٤٧). قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (مريم ١٩–٢٢).	ب.٢– حُبِلَ بِهِ من الرُّوح القُدُس: فقالَتْ مَريَم للمَلاك: "كَيفَ يَكونُ هذا وَأنا لا أعرف رَجُلاً؟" فَأجابَها المَلاك: "الرُّوحُ القُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُدْرَةُ العَلِيّ تُظَلِّلُكِ، لِذلِكَ فالقُدُّوسُ المَولود منكِ يُدعَى ابْنَ الله. (لو ١: ٣٤–٣٥).

ج– ميلاد يسوع وطفولته	
ج.١– الميلاد عند جذع النّخلة: فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (مريم ٢٣–٢٧).	ج.١– الميلاد في مغارة بيت لحم: وَفِي تِلْكَ الأَيَّام صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أُوغُسْطُسَ قَيْصَرَ بِأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَة. وَهذَا الاكْتِتَابُ الأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينِيُوسُ وَالِيَ سُورِيَّةَ.فَذَهَبَ الْجَمِيعُ لِيُكْتَتَبُوا، كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِه.فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْم، لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِه،لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى.وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ.فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِل.وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ،وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا.فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ:أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ.وَهذِهِ لَكُمُ الْعَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ. وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: "الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ". وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ الرِّجَالُ الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «لِنَذْهَبِ الآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرْ هذَا الأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمَنَا بِهِ الرَّبُّ". فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ، وَوَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعًا فِي الْمِذْوَدِ.فَلَمَّا رَأَوْهُ أَخْبَرُوا بِالْكَلاَمِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هذَا الصَّبِيِّ.وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا تَعَجَّبُوا مِمَّا قِيلَ لَهُمْ مِنَ الرُّعَاةِ.وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هذَا الْكَلاَمِ مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا. ثُمَّ رَجَعَ الرُّعَاةُ وَهُمْ يُمَجِّدُونَ اللهَ وَيُسَبِّحُونَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ لَهُمْ (لو ٢: ١–٢٠).
ج.٢– يتكلّم وهو في المهد: وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (آل عمران ٤٦).	ج.٢– ...؟

د– رسالة يسوع	
د.١– عبد ونَبِيّ الله: فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (مريم ٢٩–٣٣).	د.١– عَبد، خادم، مُخَلّص: لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. (فل ٢: ٧–٨) فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ (مت ١: ٢١).
د.٢– من بين الصَّالحين: وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (الأنعام ٨٥).	د.٢– صالحٌ من أجل الطَّالح: فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ (١ بط ٣: ١٨). يَا أَوْلاَدِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ لاَ تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا (١ يو ٢: ١–٢).
هـ– الصَّلب	
هـ.١– لَمْ يُصْلَب، بَلْ شُبِّهَ بِهِ... : وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (النساء ١٥٧–١٥٨).	هـ.١– صُلِب: مِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ قَائِلاً: "حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا!". فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ: "اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ" (مت ١٦: ٢١–٢٣).

هـ.٢– مُنبئ برَسول اسمه أحمد: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (الصّف ٦).	هـ.٢– أظهَرَ المَسيحُ القائِم علامات صَلبه: وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسْطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: "سَلاَمٌ لَكُمْ!"فَجَزِعُوا وَخَافُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا.فَقَالَ لَهُمْ: «مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ، وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ؟ اُنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ! جُسُّونِي وَانْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي". وَحِينَ قَالَ هذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ (لو ٢٤: ٣٦، ٤٠).
و– غُفران الخطايا	
و.١– لا فداء لغفران الخطايا: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (آل عمران ٩١).	و.١– فداء من أجل الخطايا: كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ (مت ٢٠: ٢٨).
و.٢– فداء لإسماعيل: وَفَدَيْنَاهُ (إسماعيل) بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (الصافات ١٠٧).	و.٢– تضحية من أجل خطايا البشر: ثُمَّ يَذْبَحُ تَيْسَ الْخَطِيَّةِ الَّذِي لِلشَّعْبِ، وَيَدْخُلُ بِدَمِهِ إِلَى دَاخِلِ الْحِجَابِ. وَيَفْعَلُ بِدَمِهِ كَمَا فَعَلَ بِدَمِ الثَّوْرِ: يَنْضِحُهُ عَلَى الْغِطَاءِ وَقُدَّامَ الْغِطَاءِ،فَيُكَفِّرُ عَنِ الْقُدْسِ مِنْ نَجَاسَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ. وَهكَذَا يَفْعَلُ لِخَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ الْقَائِمَةِ بَيْنَهُمْ فِي وَسَطِ نَجَاسَاتِهِمْ (أح ١٦: ١٥–١٦). ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ.مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ (أش ٥٣: ٧–٨). وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: "اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا (مت ٢٦: ٢٧–٢٨). هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!(يو ١: ٢٩) لأَنَّهُ كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هذَا، قُدُّوسٌ بِلاَ شَرّ وَلاَ دَنَس، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِالَّذِي لَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يُقَدِّمَ ذَبَائِحَ أَوَّلاً عَنْ خَطَايَا نَفْسِهِ ثُمَّ عَنْ خَطَايَا الشَّعْبِ، لأَنَّهُ فَعَلَ هذَا مَرَّةً وَاحِدَةً، إِذْ قَدَّمَ نَفْسَهُ (عب ٧: ٢٦–٢٧).

٢- إستنتاجات المُقارَنَة القرآنيَّة-البيبليّة

بناءً على مُقارَنَة النُّصوص القُرآنيَّة والكِتابيَّة التي أورَدناها أعلاه، والتي صَنَّفناها وِفقَ عَناوين واضِحَة وَمُحَدَّدَة، سَنَخلُص إلى الاسْتِنتاجات اللاهوتيَّة-العَقائِديَّة، ونحنُ نَعرض نقاط التّعارُض والتّطابق.

٢.أ- شَخص يَسوع-عيسى

يُشَدِّد القُرآن على عَظَمَة الله "بَديع السَّماوات والأرض" الذي يَستَحيل أنْ يَكونَ لَهُ وَلَد (أنَّى). إسْتِحالَة أُبُوَّة الله، يَبْني عَلَيْها القُرآنُ فِكْرَة أنَّهُ لا يُمْكِنُ أن نَقولَ أنَّ عيسَى المَسيح هُوَ ابْنُ الله. واللافت أنَّ هذه الآيَة تُظهِرُ أنَّ الله لَنْ يَكونَ لَهُ "صاحِبَة". وَيُشَدِّد تَفسيرَا الطّبري والجَلالَين على استِحالَة أنْ يَكونَ لله زَوجَة يُنجِبُ مِنْها وَلَدًا (الأنعام ١٠١). لِذلِكَ يُوردُ القُرآن في سورة المائدة، وبِأُسْلوبٍ قَصَصِيّ، كَيفَ أنَّ عيسَى ابن مَريَم يَنفي الأُلوهَةَ عنْهُ وَعَنْ أُمِّه مَريَم (المائدة ١١٦)، فيوردُ تَفسير الجلالَين بِأنَّ السُّؤالَ يَأتيهِ من الله وَبِطَريقَةٍ إسْتِجوابيَّة يَومَ القيامَة، تَوبيخًا لِقَومِه: **يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ؟** وَفي هذا السُّؤال إشارَة واضحة إلى تَرك عبادة الله الواحد لعبادة عيسى وأمّه مريم. يُجيبُ عيسَى بِرِعدَة تَنْزيهًا لله عَمَّا لا يَليقُ بِهِ مِنْ شَريكٍ وَغَيْرِه: **سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ**. بِحَسَبِ تَفسير الجَلالَين، تركّز الآية المذكورة على علم الله المُطلَق الذي ليسَ لِعيسَى، ولا لأحدٍ من الأنبياء. في هذا المعنى، تَشَدِّدُ آيَةٌ من سورَة آل عُمران على بَشَريَّة عيسَى وَآدَميَّتِه: **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**، وفي ذلك تَشبيه لعيسَى بِآدَم، إذ أتى بِدونِ أبٍ كَما الآخَر، بِكَلِمَةٍ من الله: كُن! فيكون. ولَكِنَّ المصدر التُّرابِيّ واحِد، والصُّورَةُ "من تَشبيهِ الغَريبِ بالأغرَب": فالغَريب أن يُجبَلَ آدَم من تُراب، فَيَصورَ إنْسانًا سَويًّا من دون أب، والأغرَب أنْ تَحمِلَ مَريَم وتَلِدَ ابنًا من دونِ أب.

في المُقابِل، يُشَدِّدُ الكِتابُ المُقَدَّس - في العَهد الجَديد- على بُنُوَّة يَسوع لله، فَيورِدُ اعترافًا مَسموعًا من الآب، يَوم اعتِمادِ يسوع في الأُردُنّ على يَدِ يوحَنّا، أنَّه هو الابن الحَبيب. لدينا أيضًا اعترافٌ آخَرَ على لِسانِ يَسوعَ نَفْسِهِ يَوْمَ مُحاكَمَتِهِ أمامَ عَظيم الكَهَنَة (مت ١٦: ١٥-١٦؛ مر ١٤: ٦١-٦٢). لَكِنَّ هذه البُنُوَّة ليست بالمَعنَى الذي أورَدَهُ النّص القُرآني، إذ لا يورد الكِتاب المُقَدَّس زَواج الله من امرَأة لِيُنجِبَ مِنْها وَلَد، وَكَأنَّ النّص القُرآنيّ لَم يَفهَم البُنُوَّة إلاّ من ناحِيَة الإنْجاب المَعهود بَشَريًّا. أمَّا الكِتاب المُقَدَّس، فَيبني على ما أورَدَهُ خِطابًا آخَر... إنّ اسم "ابن الله" يُعطيه الكِتابُ إلى إثنَين:

١- "إلى الأقنوم الثاني في الثّالوث (والذي هُوَ كَلِمَةُ الآب) بإعطائِهِ الطَّبيعَة الإلهيَّة في قَلبِ الثّالوث مَعَ الكائِنِ الإلهي أساسًا وَهوَ مِنْ جَوْهَرِ الآب، بِمَعنَى أنَّ هذا الأُقنوم الإلهيّ الأزَلِيّ هُوَ الذي يُصْبِحُ إنسانًا بالوحدَةِ الشَّخصيَّة"[٧].

٢- "إلى الإنسان المُبَرَّر لأنّه بالنِّعمَة يُصبِحُ بِشِبْهِ الوِلادَةِ في قَلبِ الثّالوث مُشارِكًا في الطَّبيعَةِ الإلهيَّة وَيَصير ابن الله بِبُنُوَّةٍ يَعْتَبِرُها الكِتابُ تَبَنِّيًا بِسَبَبِ مَجّانِيَّةِ هذه البُنُوَّةِ وَطابِعِها الحُر"[٨].

لذلك، نَفهَم أنَّ البُنُوَّة التي يَتَكَلَّم عَنْها الكِتاب ليست من مُنطَلَقِ الإنْجاب من امرأة، بل هي مَسألَةُ حُبٍّ عَظيم لا يَتَجَلّى إلاَّ بِوُجودِ مُحِبٍّ- مَصدَر (الآب)، وَمَحْبوب- مَولود من الآب قَبلَ كُلِّ الدُّهور (الابن)، تَربُطهُما عَلاقَةُ حُبٍّ مُتَبادَل، من خِلالِها يعطي الآب للابن كُلَّ شَيء:

(٧) كارل راهنر و هربرت فورغريملر، **مُعجَم اللاهوت الكاثوليكيّ**، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦، ص ٢.

(٨) المرجع نفسه.

"هذا هُوَ ابني الحَبيب" (مت ٣: ١٧)، وَمِنْ خِلالِها أيضًا يرِدُّ الابن لأبيه كُلَّ شَيءٍ على الصَّليب، عِندَما عاشَ هذا الحُبّ حَتَّى النِّهايَة: "يا أبَتِ بيْنَ يَدَيْكَ أسْتَوْدِعُ روحِي" (لو ٢٣: ٦). إنطِلاقًا من هذه البُنُوّة، قالَت مَريَم للمَلاك أنَّها "أمَةُ الرّب"، فلا عَلاقَةَ لَها بالألوهَة، بَل هِيَ خادِمَةٌ لمَشروع الحُبّ الإلهي الذي هُوَ لِخَلاص البَشَر، بأنْ يَتَجَسَّد المَحبوبُ– الابن، فَيُصبِحَ أخًا لَنا في الإنسانيَّة، لِنَصيرَ بِهِ وَمَعَهُ أبناءً للآب السَّماوي. هذه هِيَ شِبه الوِلادَة في قَلب الثّالوث التي تَكَلَّمنا عَنها أعلاه، وَبِناءً عَلَيْها عَظَّمَتْ مَريَم الرَّب وَابتَهَجَت روحُها بالله المُخَلِّص (لو ١: ٤٧)، كَما يَفعَلُ كُلُّ مُؤمِنٍ بالله. مِنْ هُنا نَفهَم أنَّ الابن– الكَلِمَة كانَ في البَدء، وَهوَ الذي صارَ بَشَرًا لِيُؤَلِّهَ البَشَر[٩].

٢.ب– البِشارَة بِيَسوع

كَلامُ المَلائِكَة لِمَريَم في القُرآن غَنِيّ بالمَعاني: **إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (آل عمران ٥٤)**. بِدايَةً نَرَى أنَّ هُناكَ "مَلائِكَة"؛ يَكتَفي تَفسيرُ الجَلالَيْن بتَفسير لفظ الجَمع هذا بأنَّهُ جِبْريل (جبرائيل)، وَيُكمِلُ التَّفسير إلى أنَّ الكَلِمَة التي مِنَ الله هِيَ وَلَدٌ ليسَ لَهُ نَسَبٌ لِرَجُل. وَمَعَ أنَّ المَلاك يُخاطِبُ مَريَم، نَراهُ يُسَمّي الوَلَد الذي يُبَشِّرُ بِهِ "عيسَى ابْن مَريَم" تَشديدًا وَتَنبيهًا على أنَّها تَلِدُهُ بِلا أب، إذ إنّ نسبة الرِّجال عادَةً إلى آبائِهِم. يَتَّفِق تَفسيرَي الجَلالَين والطّبري على وَجاهَة وَعَظَمَة هذا المَولود "في الدُّنيا" إذ سَيَكونُ نَبيًّا، وَ"في الآخِرَة" إذ سَيَكونُ لَهُ الشَّفاعَة لَدَى الله، ولَهُ الدَّرَجاتُ العُلا لأنَّهُ "مِنَ المُقَرَّبينَ" عِنْدَ الله. هذا الابنُ الوَجيه هُوَ خَليقَةٌ مُمَيَّزَة. لذلِكَ كانَ جَوابُ المَلاك لِمَريَم بِغايَة الوُضوح: **"اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ"**. لَمْ يَكُن لِمريم أنْ تَسأَلَ أنَّى يَكونُ لَها وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسها رَجُل. مِن خِلالِ هذه الآيَة، نَفهَم أنَّ عيسَى هُوَ خَليقَةٌ بِلا أب على ما يَقولُ تَفسيرُ الجَلالَين. وَإذ سَألَتْ مَريَمُ كَيفَ يَكونُ ذلِكَ، يُشَدِّدُ المرسالُ على قُدرَةِ مُرسِلِهِ الله[١٠]: **"هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا"**.

في حين نَجِد، في بِشارَة المَلاك جبرائيل لِمَريَم، أنَّ يَسوع هو "ابن العَلِيّ" أي ابن الله، وقَد شَرَحنا ذلِكَ سابِقًا. هوَ أيْضًا "المَسيح"، أي الذي مُسِحَ لِيَقومَ بِرِسالَة سَماوِيَّة بين النّاس، وَ"مَلِك إسْرائيل"، أي الذي سَيُعيدُ مَجدَ إسْرائيل إذ يُخَلِّصها من عُبودِيَّتِها.

٢.ج– ميلاد يَسوع–عيسى وطفولته

في القرآن، جاءَ المَخاض لمريم إلى جذع نَخلَة اسْتَنَدَت عَلَيْهِ لِتَلِد. يُشَدِّد تَفسير الجَلالَين على أنَّ

(٩) رج **المَرجَع نفسه**، ص ٨٩–٨٠.

(١٠) دوس ميشيل، **مريم المسلمة**، ترجمة عبود كاسوحة، قدمس، بيروت ٢٠٠٨، ص ١٠٨–١٠٩.

الحَمل وَالتّصوير والوِلادَة كانَ في خِلال ساعَةٍ واحِدَة، فيها تَمَنَّت مَريَم المَوت... وَها هُوَ جبريل يُناديها وَكانَ من أسفَل، ويُطَمئِنها إلى أنّ الله جَعَلَ تَحتَها نَهرَ ماء... اختُلِفَ في المُنادي: فانقَسَمَت الرِّوايات بين مَن يَقول أنَّهُ جبريل، وبين مَنْ يَقول أنَّهُ عيسَى نفسه. لَكِنَّ تَفسير الطّبري يَجزُم انَّ أصَحّ الرّوايَتين: هي في أنَّ عيسَى هُوَ الذي تَكَلَّم. والمُلفِت في هذه الرِّوايَة أنَّ مَريَم أتَت إلى أهل بَيتِها، وَذاقَتْ مِنَ المَلامَة والمُساءَلَة إلى أنْ أشارَت إلى ابنِها الذي أتَى مِنْ دونِ أب (خِلافًا للشَّريعَة الطّبيعيَّة)، فَكَلَّمَ لائمي الأُمّ وَبَرَّأها. تَكثُرُ الرِّوايات حَولَ حَملِ مَريَم وولادَةِ عيسَى، وَأغلَبُها تُنسَبُ للسَّلَف الصَّالح، بَعضُها يَأتي على ذِكرِ شَخص كانَ يُساعِدُ مَريَم وَيَخدُمها وَهيَ ساكِنَة في مِحرابِها، واسمُهُ "يوسُف النّجّار".

في الكِتابِ المُقَدَّس رِوايَةٌ أُخرَى لا تَمُتُّ إلى رِوايَة "بِنتُ عُمران" بِصِلَة:

٣. إحصاء الإمبراطور الروماني الذي نَقَلَ يوسُف ومريم الحامل إلى قرية بيت لحم– اليَهودِيّة للاكتتاب.

٤. لم يَجِدَا مَكانًا في قاعَةِ الضُّيوف فَوَلَدَت مَريَم بِكرَها في مِزوَد المغارة.

٥. بَشَّرَتِ المَلائِكَةُ الرُّعاةَ بِذلِكَ المَولِد، وَرَنَّموا وَهَلَّلوا في السّماء، لِيَأتي بعدها الرُّعاة إلى المَغارَة حَيثُ تَمَّتِ الوِلادَةُ بِصَمتٍ لِيُشاهِدوا الذي بُشِّروا بِهِ.

٦. كانَت مَريَم تَحفَظُ في قَلبِها بِصَمتٍ كُلَّ ما يَجري.

في هذه الرِّوايَة لَم يَشُكّ أحَد بِطَهارَة مَريَم، ولَم يَسألْها أحَد بِشَيء، ولم يتَكَلَّم الطِّفلُ يَسوعُ في مَهدِه. كُلّ ما نَراه هُوَ مَشهَد مُتَمحور حَولَ الطِّفل المُقَمَّط المُضجَع في مِذوَد، وكانَ التَّجَسُّد الإلهي يَختَفي تحت هذه الوِلادَة الفَقيرَة، لِذلِكَ كانَ مَشهَد الطِّفل هذا عَلامَة ضُعف أُعطِيَت إلى ضُعَفاء (الرُّعاة) للدّلالَة على عَظَمَة المُتَجَسِّد. في هذا المَشهَد السَّماءُ تَكَلَّمَت والذينَ في الأرضِ شاهَدوا ما جَرَى بِصَمت...

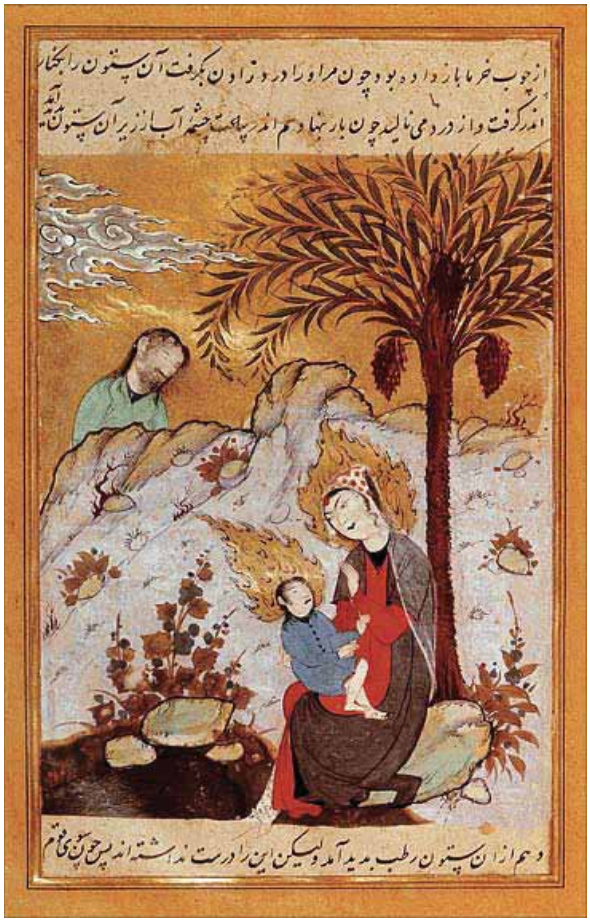

٢.د– رِسالَة يَسوع–عيسَى

إنَّ عيسَى– المَسيح هُوَ عَبدٌ وَنَبِيٌّ لله، وَيَقولُ هُوَ عَنْ نَفسِه عِندَما تَكَلَّمَ طِفلاً بينَ يَدَي أُمِّه: "جَعَلَنِي نَبِيًّا"، أيْ حامِلاً لِرِسالَة سَماوِيَّة إلهِيَّة؛ وَيَقولُ "جَعَلَني مُبارَكًا أيْنَما كُنت"، أي يَأتي بالمَنفَعَة لِجَميع النّاس في كُلِّ زمانٍ ومكان، بِناءً على الوحي الذي آتاهُ الله إياه. كما نَفَى عيسى أنْ يَكونَ مُتَشامِخًا مُؤذِيًا للنّاس: "وَلَمْ يَجْعَلني جَبّارًا شَقِيًّا". يُشَدِّدُ الطَّبري على أنَّ لَهُ الأمْنُ مِنَ الله عَلَيهِ مِنَ الشَّيطانِ وَجُنْدِهِ يَوْمَ وُلِدَ أنْ يَنالوا مِنْهُ ما يَنالونَ مِمَّن يُوْلَدُ عِنْدَ الوِلادَة، مِنَ الطَّعْنِ فيه، وَيَوْمَ يَموت، مِنْ هَوْلِ المَطْلَع، وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا يَوْمَ القِيامَة أن يَنالَهُ الفَزَعُ الذي

يَنَالُهُ النَّاسُ بِمُعَايَنَتِهِم أَهْوَالَ ذَلِكَ اليَوْمِ، لِذلِكَ يَقول: **وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا، فَيَكونُ عيسَى بِذلِكَ نَموذَجًا للذينَ يَحيَوْنَ في بِرِّ الله، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ.**

أمَّا في الكِتاب المُقَدَّس، فيَسوع المَسيح هو اللهُ الكَلِمَة الذي أخلَى ذاتَهُ وَتَنازَل، وتَجسَّدَ، وَاتَّخَذَ صورَةَ المَخلوق (أي العَبد)، وَأطاعَ أباهُ السَّماوي حتَّى قَدَّمَ دَمَهُ كَفَّارَةً عَن الخَليقَة على الصَّليب. لَمْ يَأتِ المَسيح برِسالَة من لَدُن إله يَنظُرُ مِنْ عَليائِهِ نَحوَ خَليقَتِه... هُوَ اللهُ الكَلِمَة التي صارَت إنسانًا لتُفهِمَ هذا الأخير أنَّ اللهَ مَحَبَّة، وَأنَّ الخَلاصَ مُتاحٌ بإرادَة مُحِبَّة من الله[١١]. "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ" (١ بط ٣: ١٨)؛ فَهوَ الصَّالِح الذي من أجل الخَطأة، وَمِن أجْل خَلاص البَشَر، أطاعَ أباه وَغَسَلَ بِدَمِهِ خَطايانا لكي لا نَعود فَنَخطأ، لا لأنَّ الشَّريعَةَ تُعاقِبنا، بل لأنَّ اللهَ أحَبَّنا وَأرادَ أنْ يُخَلِّصَنا.

٢.هـ- الصَّلب

يَنفي القرآن جُملَةً وَتَفصيلا ما يُقالُ عَن المَسيح أنَّهُ تَألَّمَ وَصُلِبَ وَماتَ وَقام...، بَلْ إنَّ هُناكَ مَنْ كانَ يُشْبِهُهُ، إذ يَقول تَفسير الجَلالَين أنَّ الصّالِبينَ عَلموا بِأنَّ وَجهَ المَصلوب هُوَ وَجْهُ عيسَى، ولَكِنَّ الجَسَدَ لَيسَ بِجَسَدِه. لَقَدْ رَفَضَ القُرآنُ مَبدأ الصَّلب لأنَّهُ علامَةُ مَهانَة وَضُعف لا تَليقُ بِنَبِيٍّ كَبير، وَلا تَليقُ بِمَنْ هُوَ مِنَ الصّالِحين...، خاصَّةً وَأنَّهُ في النِّهايَة مُنبِئٌ بِرَسولٍ اسمُهُ "أحمد"...

في الكِتاب المُقَدَّس حالَةٌ أُخرَى...؛ فَبِحَسَب بولُس الرَّسول "إنَّ كَلِمَةَ الصَّليبِ عِنْدَ الهالِكينَ حَماقَة، وَأمّا عِنْدَنا نَحنُ المُخَلَّصينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ" (١ كو ١: ١٨)؛ فاللهُ الكَلِمَة احْتَجَبَ تَحتَ عَلامَة ضَعف بالنِّسبَة إلى البَشَر، لِيُظهِرَ قُوَّتَهُ التي تَكسِرُ المَوتَ وَتُعطي حَياةً للمُؤمِنينَ وافِرَة. ذِهنِيَّة رَفض فِكرَة المُحاكَمَة والآلام والصَّلب والمَوت موجودةٌ أيضًا في الإنجيل على لِسانِ بُطرُس؛ فهوَ الذي رفض ما يَقولُهُ يَسوع عَن موتِهِ وَقِيامَتِه. وَكانَ حُكمُ يَسوعَ على هذه الأفكار واضح: "إِذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ" (مت ١٦: ٢٣)؛ فَما هُوَ لله إنَّما هُوَ خَلاصٌ حَقَّقَهُ اللهُ الكَلِمَة بِجَسَدِهِ وَدَمِهِ المُراق على الصَّليب. لَمْ يُنبِئ يَسوع المَسيح بِمَجيءِ أحَد، سِوَى أنَّهُ أظهَرَ جِراحاته –عَلامات صَلبِه– للتَّلاميذ المُجتَمِعين في العليّة، لِيُؤَكِّد بِأنَّهُ هُوَ (بِجَسَدِه) ماتَ وَقامَ من بين الأموات، حَطَّمَ الجَحيم، وأنشَأ لَنا خَلاصًا كامِلاً.

٢.و- غُفران الخَطايا

في سورَة آل عُمران (آ ٩١) يَظهر أنَّهُ لا غُفرانَ للخَطايا إنْ أصَرَّ الخاطِئ (الكافِر) على خَطَإِه؛ فاللهُ أمَرَ إبراهيم بِذَبح اسماعيل، وبَعدَ أنْ أمَرَ كذلك، فَداهُ بِذَبح عَظيم، أي أرسَلَ لإبراهيمَ كَبشًا من الجَنَّة (وَيُشَدِّد تَفسيرُ الجَلالَين على أنَّهُ كَبش هابيل) وكانَ ذلِكَ الذَّبح لِنَجاة إسماعيل من الذَّبح...

في الكِتاب المُقَدَّس آيات كَثيرَة تَتَكَلَّم عَلى الفِداء، وَهوَ "في المَعنَى الواسِع يَعني أنَّ الحالَة التي يُوجَدُ فيها الإنسان حَتمًا وَالتي يَشعُر أنَّها ضارّة بِهِ وَلا يُمْكِنُهُ التَّغَلُّب عَلَيْها قَدْ غُلِبَتْ نِهائِيًّا". والفِداءُ هُوَ عَطِيَّة إلهِيّة حُرّة من خِلالِها نَقول أنَّ "اللهَ يَغفِر الخَطيئَة بِأنَّهُ يُخَلِّصُ العالَم، لأنَّ المَسيحَ بِمَوْتِهِ على الصَّليبِ قَدَّمَ التَّعويضَ

(١١) رج كارل راهنر و هربرت فورغريملر، **مُعجَم اللاهوت الكاثوليكيّ**، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦، ص ١٠٩-١١٠.

مِنْ أجْلِنا وَبَدَلاً عَنَّا"؛ فالله خَلَّصَنا وَفَدانا بِذبيحَةٍ واحِدَةٍ، أي ذَبيحَة ابنِهِ على الصَّليب[١٢].

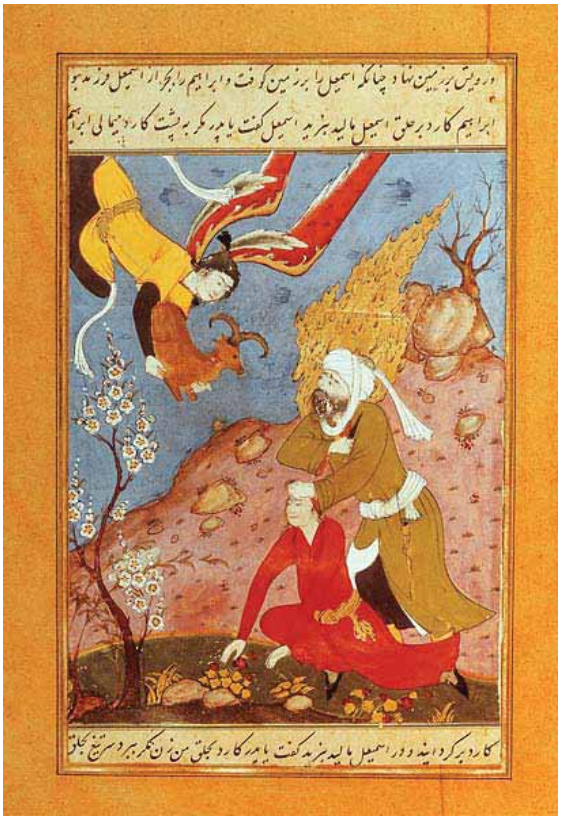

خاتمة

أمامَ هذه المُقارَنَة، والتي تُظهِر أهَمّيَّة عيسى– يَسوع المَسيح في القُرآن والكِتاب المُقَدَّس، يُمكِنُنا أنْ نَتَبَنَّى خِطابَين:

٧. الأوَّل يُرَكِّز على الاختِلاف في المَفاهِيم التي تَنعَكِس اختِلافًا في المُعتَقَدْ بِناءً على نُصوص مُقَدَّسَة؛

٨. الثّاني يُرَكِّز على التَّقارُب الذي يُمكِنُ على أساسِهِ بِناءُ حِوارٍ يَجمَعُنا بالوِدّ والاحتِرام المُتَبادَلَيْن.

إنّ ما تَدعونا إلَيهِ الكَنيسَة في "بيان" حول علاقَة الكَنيسَة بالدِّيانات غَير المَسيحيَّة"، من المجمع الفاتيكانيّ الثّاني، هُوَ أن نَنْظُر بِتَقْدِيرٍ إلى المُسلِمين الذينَ يَعبُدُونَ الله الواحِد الحَيّ القَيُوم الرَّحْمَن القَدير خالق السَّماوات والأرض. إنَّهُم يَجْتَهِدُونَ في التَّسْلِيْم بِكُلِّ نُفوْسِهِمْ لأحْكَام اللهِ وَإنْ خُفِيَتْ مَقَاصِدُهُ، كَمَا سَلَّمَ اللهُ إبراهيم الذي يَفْخَرُ الدِّين الإسلاميّ بالانْتِسَاب إلَيه، وَرُغْمَ أَنَّهُم لا يَعْتَرِفُونَ بِيَسُوعَ إلهًا فَإنَّهُم يُكْرِمُوْنَهُ نَبِيًا وَيُكْرِمُوْنَ أمَّهُ العَذْرَاءَ مَرْيَمْ وَيَذْكُرُوْنَهَا فِي خُشُوع.

(١٢) رج كارل راهنر و هربرت فورغريملر، **مُعجَم اللاهوت الكاثوليكيّ**، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦، ص ٢٣٥–٢٣٦.

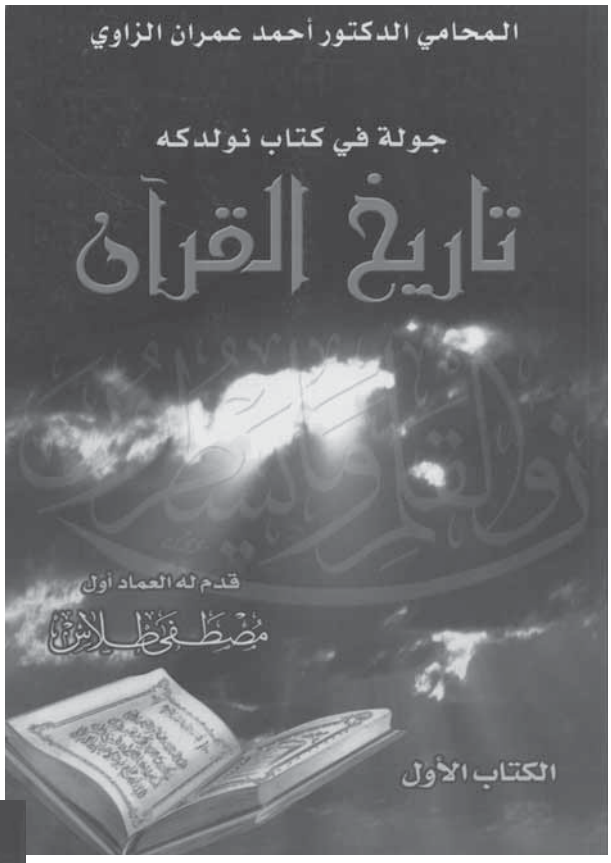
المحامي الدكتور أحمد عمران الزاوي
جولة في كتاب نولدكه
تاريخ القرآن
قدم له العماد أول
مصطفى طلاس
الكتاب الأول

المحامي د. أحمد عمران الزاوي
جولة في كتاب نولدكه
تاريخ القرآن
قدم له العماد أول
مصطفى طلاس
الكتاب
الثاني والثالث

قراءةٌ مسيحيَّةٌ لمريمَ في الإسلامِ

الأب مارون عوده
دكتور في اللاهوت، اختصاص إسلاميّات

مقدّمة

مُنذُ فَجرِ كُتُبِ التوراةِ ومريمُ حاضرةٌ تنقرُ الدُّفَّ متقدّمةً أمامَ النساءِ تعظّمُ الربَّ: "أَنشِدوا للرَّبِّ فإنَّه تَعَظَّمَ تعظيمًا. الفَرَسُ وراكِبُهُ في البحرِ ألقاهما"[١]. تلكَ كانت مريمُ النبيَّةُ إبنةُ عَمرامَ وأختُ هارون وموسى الذينَ ولدوا بمِصر[٢]. لكنّ اللهَ ضربَها بالبرصِ لأنّها تكلّمَت على موسى مشكِّكةً بكلامِ الربِّ[٣]، ثمَّ عادَ وشفاها من برَصِها بشفاعةِ هارون وموسى[٤]. واختفى إثرُها بعد ذلك من صفحاتِ كُتُبِ التوراةِ.

كَرَّمَ شعبُ التوراةِ تلكَ النبيّةَ مريمَ إذ شاعَ اسمُها في أكثريَّةِ أسباطِ إسرائيلَ وقبائلِه حتّى ملءِ الزَمنِ حين تجَسَّدَ الرَبُّ يسوع من عذراء تُدعى "مَريَم"[٥]، التي أصبَحت أمَّ اللهِ الابن لأنّ المولودَ منها "قدّوسٌ وابنُ اللهِ"[٦]. وكانت تُعرَفُ أيضًا بـ"أُمِّ يَسوعَ"[٧]، رافقت ابنَها يسوعَ المسيح حتّى موته وقيامتِه، ثمّ فارقت هذه الدُنيا بعد صعودِ ابنِها يسوعَ المسيح إلى السماءِ[٨].

بعد حوالى ستّ مائةِ سنةٍ على ولادة يسوعَ المسيح من مريمَ العذراءِ أَحيَى اللهُ مريَمَ أُختَ هارون إذ أنزَلَها من جديدٍ في القرآنِ: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٩]. لكنَّ أختَ هارونَ أُنزِلَت في القرآنِ أُمًّا لعيسى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[١٠]، أي أصبحَت أختُ هارونَ أُمًّا للمسيحِ عيسى[١١]، الذي يُعتَبَر لدى الإسلامِ أنَّهُ يسوعُ المسيحُ ابنُ مريَم.

(١) خر ١٥: ٢١.
(٢) عد ٢٦: ٥٩.
(٣) عد ١٢: ٢– ١٠.
(٤) عد ١٢: ١٥.
(٥) لو ١: ٢٧.
(٦) لو ١: ٣٥.
(٧) يو ٢: ١.
(٨) أع ١: ٩.
(٩) سورة **مريم**: آية ٢٨. تلاها جعفر بن أبي طالب علي النجاشيّ في السنة السابعة للبعثة النبويّة، **ابن هشام**، السيرة النبويّة: ص ٢٤٧.
(١٠) سورة **مريم**: آية ٣٤.
(١١) سورة **آل عمران**: آية ٤٥.

أمّا اليومَ فتُكرِمُ المسيحيَّةُ والإسلامُ مريَمَ تكريمًا مشتركًا استنادًا إلى روايةِ بشارةِ الملاكِ جبرائيل لمريم بابنها يسوع في المسيحيّةِ أو عيسى في الإسلام[١٢]، وأضحى عيدُ البشارةِ عيدًا وطنيًّا في لبنان يحتفلُ به المسيحيّون والمسلمون في طقوسٍ احتفاليّةٍ مشتركةٍ. وأصبحت مريمُ القاسِمَ المشتَرَكَ بين الديانتَين المختلفتَين على وحدانيّةِ اللهِ وعلى تحريفِ الإنجيلِ.

أمام هذا الواقعِ نطرحُ السؤالَ التالي: هل يستطيعُ المسلم أن يغلو بدِينه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾؟[١٣] وهل يستطيعُ المسيحيّ إنكار ألوهيّة يسوعَ المسيح وهو مخلوقٌ من تُراب في الإسلام: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[١٤]، بينما حياتُه الأبديّة مرهونةٌ لإيمانه بيسوعَ المسيح ابنِ اللهِ الحيّ؟[١٥]

للإجابةِ على هذه الأسئلةِ يجبُ أنْ ندرُسَ النقاطَ المشتركة بين الروايات، وأن نُبيّنَ نقاطَ الاختلافِ، وخصوصًا الإيمانيّةَ منها، وفي النهايةِ استخراجَ الغايةِ من كلِّ روايةٍ، حتّى نستطيعَ أن نستخلصَ الجواب الشافي للمؤمن المسيحيّ والمسلم على حدٍّ سواء، لتكونَ مريمُ العذراءُ حقًّا موضوعَ تكريمٍ من قبلِ الديانتَين.

١- الروايةُ الأولى للبشارةِ في سورةِ "مريم": الآيات ١٢-٦١

تُليَت الروايةُ الأولى للبشارة في سورَة مريَم[١٦] حينَ كانَ المسلمونَ بحاجةٍ إلى حمايَةِ النجاشيّ النَصرانيّ الذي يؤمنُ بيسوعَ النبيّ. تَلا يومها جعفرُ صدرًا من سورةِ مريَم يتضمّنُ بشارة زكريّا بيحيى، وبشارة مريَمَ بعيسى وولادتها له، ومن ثمّ نُطقَ عيسى في المهدِ حين قال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣١﴾. قامَ النجاشيّ عندها وكتبَ: "هو يشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّدًا عبده ورسولُه، ويشهد أنّ عيسى ابن مريَم عبدُه ورسولُه وروحُه[١٧]، وكلمتُه[١٨] ألقاها إلى مريم"[١٩].

يتّخذُ جبريلُ جسدَ رَجُلٍ بحسبِ الرواية ليخاطبَ مريَم: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[٢٠]، ممّا سبّبَ الإحراجَ لمريَم لأنّها فتاةٌ بالغةٌ ولا تستطيعَ مخالطةَ الرجالِ بحسبِ التقاليدِ العربيّة[٢١]. بالإضافةِ إلى ذلكَ، كانَ هناكَ دور

(١٢) لو ١: ٢٦ – ٣٨. سورة **آل عمران**: الآيات ٤٥ – ٤٨. وسورة **مريم**: الآيات ١٦ – ٢١.

(١٣) سورة **النساء**: آية ١٧١.

(١٤) سورة **آل عمران**: آية ٥٩.

(١٥) يو ٢٠: ٣١.

(١٦) بالرغم من أنّ رقم سورة آل عمران ٣ في القرآن ورقم سورة مريم ١٩، لكنّ سورة مريم سابقة في الزمن لسورة آل عمران، لذلك رتّبنا الروايات بحسب الترتيب الزمنيّ وليس الرقميّ.

(١٧) روح الله: تعني في الإسلام جبريل الذي يأتمر بالله، وهو الذي ينقل قوّة الله لعيسى ليكلّم الناس في المهد، ولحفظ التّوراة والإنجيل وصنع الطّير من الطّين. سورة **المائدة**: الآية ١١٠.

(١٨) قال ابن كثير أنّ عيسى كلمة الله، أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السّلام إلى مريم، فيكون عيسى ناشئًا عن الكلمة التي قال له بها كن فكان، ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى. **ابن كثير**، تفسير ابن كثير: ج ٢، ص ٣٤٩.

(١٩) **ابن هشام**، السيرة النبويّة: ص ٢٥٠.

(٢٠) سورة **مريم**: الآية ١٧.

(٢١) **الطبري**، جامع البيان: ج ١٦، ص ٦٨.

تنفيذيّ لجبريل: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾[٢٢]، أي قال لها جبريل: "وإنّما لأتسبّبَ في أن يمنحك الله غلامًا طاهرًا من الذنوب، وذلك بالنفخ في القميص"[٢٣]. بالتالي استسلمت مريمُ لأمر الله، فنفخَ جبريلُ في جيبِ درعِها حتّى وَصلتِ النفخةُ إلى الرَحِم، فحملت مريَم، وكان ذلك آيةً للعالمين إذ خَلقَ الله ولدًا من أُنثى دونَ رجُلٍ[٢٤]: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[٢٥].

نَستَنتجُ ممَّا تَقدَم أنّ الله أراد اجتراحَ آيةٍ من حَبلِ مريم، للتأكيدِ على بشريَّةِ عيسى ابنِها ورسوليّتِه أسوةً بمحمّد المولودِ من أبٍ وأمٍّ وهو رسولُ الله. كما لَم تكُن الغايةُ من إنزالِ هذه الرواية تكريمَ مريم بقدرِ إعلانِ أنَّ عيسى عبدَ الله ورسولَه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[٢٦]. يُثبتُ ذلكَ أنَّ النجاشيّ كان يسألُ عن دينِ المسلمينَ الجديدِ، لذلكَ أنزلَ الله هذه الروايةَ للتأكيدِ أنَّ محمَّدًا أتى نبيًّا على غرارِ عيسى، ويفرِضُ ما قام به عيسى قَبلَهُ من صلاةٍ وزكاةٍ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[٢٧].

زد على ذلك، أرادَ المسلمون نزعَ بنوّة عيسى لله أمام النجاشيّ المؤمن بيسوع النبيّ وليس ابن الله: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٣٥﴾. بمعنىً آخر، هناكَ تشديدٌ على نسبِ عيسى إلى مريم، لذلك قالَ النجاشيّ بعدَ أن سمعَ روايةَ البشارةِ: "إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مِشكاةٍ واحدة، انطلقا..."[٢٨].

خلاصة، أُنزلَت الروايةُ الأولى ليعلنَ بها المسلمون المهاجرون إلى حماية النجاشيّ أنّهم يؤمنون بعيسى ابن مريَم وليس ابن الله، وأنّ محمَّدًا أتَى مُكمِلاً ما بدأهُ عيسى، لذلك فازَ المسلمون بحمايةِ النجاشيّ بوجهِ وفدِ كفّارِ قريش. أمّا تسميَة السورة القرآنيّة باسمِ مريَم، فلا تقتصرُ على التكريمِ لها وحسبُ، بل لأنّها أُمُّ النبيّ عيسى وتستحقُّ إكرامَ أمّهات الملوك والأنبياء.

يبقى سببُ تسميةِ مريم "أختَ هارون": ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٢٩]؛ بالنسبةِ إلى المسلمين، إنَّها سُمّيَت بهارون لصَلاحه[٣٠]. لكن بحسب سورة آل عمران فقد سُمِّيت أُمَّ مريمَ بامرأة عمران والد موسى وهارون[٣١]، يُفَسِّر ذلك المسلمون أنّها ابنة "حنّة ابنة فاقوذ"[٣٢]؛ أمامَ هذا اللغطِ لا بُدَّ من وجودِ غايةٍ ما وهي نزعُ النَسبِ الداوديّ عن يسوعَ المسيحِ من خِلالِ نَسبِ أُمِّه إلى عمرانَ السابقِ لداودَ النبيّ؛ زد على ذلكَ ليسَت من عشيرةِ داود، بالتالي لا يستطيعُ يسوعُ أن يكونَ المسيحَ المالكَ على عرشِ داودَ بل عيسى ابنُ مريَم.

(٢٢) سورة **مريم**: الآية ١٩.
(٢٣) **الزّحيليّ** وآخرون، ٢٠٠٢: ٣٠٧.
(٢٤) **الطبري**، جامع البيان: ج ١٦، ص ٧٠.
(٢٥) سورة **مريم**: الآية ٢٢.
(٢٦) سورة **مريم**: آية ٣٠.
(٢٧) سورة **مريم**: آية ٣١.
(٢٨) **ابن هشام**، السيرة النبويّة: ٢٤٧.
(٢٩) سورة **مريم**: آية ٢٨.
(٣٠) **الطبري**، جامع البيان: ج ١٦، ص ٨٦.
(٣١) سورة **آل عمران**: آية ٣٥.
(٣٢) **الطبري**، جامع البيان: ج ٣، ص ٢٨٧.

٢- الروايةُ الثانيةُ للبشارةِ في سورة "آل عمران": (الآيات ٤٥-٨٤)

أنزَلَ اللهُ هذه الروايةَ يومَ سأَلَ وفدُ نجران الَّذين أتوا محمّدًا زاعمين أن لله ولدًا، ويزعمون أنَّ الله ثالث ثلاثة، وهم الذّات المقدَّسة وعيسى ومريم، فبيَّن لهم أصل ميلاد مريَمَ أُمّ عيسى، وكيف كان أمرها[٣٣]. جاءت تلك الروايَة من قبَل الله لمحمّد للتأكيد على أصل عيسى البشريّ: ﴿... قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٣٤]، أي "يعطي (اللهُ) الولد من غير فحل ومن فحل، ويحرم ذلك من يشاء من النساء وإن كانت ذات بعل، لأنّه لا يتعذّر عليه خلق شيء أراد خلقه، إنّما هو أن يأمر إذا أراد شيئًا ما أراد، فيقول له كن فيكون ما شاء ممّا يشاء، وكيف يشاء"[٣٥].

بالرغم من أنَّ اللهَ اصطفى مريَمَ على نساءِ العَالَمين وطهَّرَها، تَأمُرُ الملائكةُ بصيغة الجمع مريَمَ بالسجودِ والركوعِ لربِّها[٣٦]. يُعطي اللهُ سلطانَ الأمرِ والنَهيّ للملائكةِ على مريم، وذلك لأنَّها أُمُّ وجيهٍ في الدنيا هو المسيحُ عيسى ابنُ مريَمَ. هنا نطرحُ السؤَال التالي: لماذا أرسلَ اللهُ ملائِكتَهُ وليسَ ملاكَهُ جبريل الذي كانَ يكلِّمُ محمّدًا؟ بينما كانَ المرسل في سورة مريمَ "روحُ اللهِ"؟ هل تطوّرَ الوحي بعد فترةٍ زمنيَّةٍ أَم هناك غايةٌ في نفسي محمّد؟

تُبَلِّغُ الملائكةُ مريمَ أنَّ اسمَ الولدِ سيكون: ﴿الْمَسِيحُ[٣٧] عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾[٣٨]. تؤكّدُ لنا الملائكةُ اسمَ الولدِ من خلالِ ذكرِ نسبه، "ابنُ مريَمَ"، لذلكَ تكونُ الغايةُ من هذه الروايةِ نسبَ الولدِ إلى مريَمَ أكثرَ من تكريم مريَمَ وذكرِها في القرآن. إنَّ التشديدَ على ذكرِ مريَمَ لا يجوز أدبيًّا أو إنشائيًّا، لكنّه أُنزِلَ لتعليمِ وفدِ نجران أنّ عيسى ابنُ مريَم وليسَ ابنَ الله.

نستنتجُ من هذه الروايةِ أنّ محمّدًا أراد إظهارَ بشريَّة عيسى أمام وفدِ نجران من خلالِ نَسَبِه إلى مريَمَ وليس إلى الله. فأُنزِلت روايةُ البشارةِ مُقَدِمَةً لخلقِ عيسى بكلمةٍ من الله، الذي أمرَ أن يكونَ فكانَ عيسى، ومن ثمَّ علَّمَ اللهُ عيسى ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾[٣٩] ليُعلِنَ عيسى أمامَ بني إسرائيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[٤٠]، كَي يؤمنَ وفدُ نجران بالله ورَسُوله محمّد، بدلَ زعمهم أنّ لله ولدًا، وأنّ مريَمَ من ضمن الثالوث المقدّس. أَنزَلَ اللهُ إلى محمّد أنّ مريمَ ابنة عمران تركعُ مع الراكعين لتعبدَ اللهَ، وليست موضوعَ عبادة. وابنُها عيسى بشرٌ مخلوقٌ من تراب مثلَ آدمَ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٤١].

أمامَ هذا الواقع قالَ محمّد لأهلِ الكتاب: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ

(٣٣) **ابن كثير**، قصص الأنبياء: ٢٦٣. لكنَّ نولديكه ينفي أنَّ وفد نجران كان سبب نزول سورة آل عمران. **نولدكه**، ٢٠٠٤: ١٧١، حاشية رقم ٧٣٦.

(٣٤) سورة **آل عمران**: آية ٤٧.

(٣٥) **الطبري**، جامع البيان: ج ٣، ص ٣٣٥.

(٣٦) سورة **آل عمران**: الآيات ٤٢- ٤٣.

(٣٧) تعني كلمة المسيح في القرآن: "مسحه الله فطَهَّرَهُ من الذنوب... ومسحهُ بالبركة"؛ **الطبري**، جامع البيان: ج ٣، ص ٣٣٢. وقال أيضًا ابن كثير: "سُمِّي المسيح لمسحِهِ الأرضَ وهو سياحتُهُ فيها وفرارُه بدينِه من الفتن في ذلك الزّمان؛ **ابن كثير**، قصص الأنبياء: ٢٩٦.

(٣٨) سورة **آل عمران**: آية ٤٥.

(٣٩) سورة **آل عمران**: آية ٤٨.

(٤٠) سورة **آل عمران**: آية ٥١.

(٤١) سورة **آل عمران**: آية ٥٩.

دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٤٢]، أي لماذا الشركُ وزَعمُ أنَّ عيسى ومريمَ مكملانِ لله، فلا إله إلّا الله ولا تجوز العبادةُ إلّا لله. أمَّا عيسى ومريمَ بشرٌ يعبدان الله، فكونو مسلمين له على غرار عيسى ورُسُله: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٤٣].

نستخلصُ من هذه الروايةِ التالي: لم تكُن مريم موضوعَ تكريم؛ فالهدفُ هو حضُّ أهلِ نجرانٍ على اعتبارها ابنةَ عمرانٍ، والتوَقُّفُ عن تكريمها وعبادتها، لكي يوحِّدوا عبادَتَهم لله وحدَهُ الذي لا شَريكَ لهُ وأن يكونوا له مُسلمين، بعدَ أن كانوا نصارى يؤمنون بالثالوث: الذاتِ المقَدَسَةِ وعيسى ومريمَ.

٣- الروايةُ الثالثةُ للبشارةِ في إنجيل لوقا ١: ٦٢- ٨٣

كتَبَ لوقا الإنجيليّ روايةَ البشارةِ في إنجيلِه حينَ أرادَ أن يُبوِّبَ أحداثًا تمَّت في أورشليمَ والناصرةَ وبيتَ لحمَ[٤٤]، كُتِبَت روايةُ البشارةِ من ضمنِ التدبيرِ الإلهيّ في التجسُّدِ والفداء. جاءَت روايةً بقَلمِ رسولٍ مُلهَم لتجسُّدِ الله الابنِ يسوعَ المسيح. تُعتبَرُ هذه الروايةُ مقدّمَةً لتدخُّلٍ إلَهّي في تاريخِ الإنسانيّةِ وخصوصًا في حياةِ مريمَ العذراءِ، إذ أرادَها الله الآبُ عُنصُرًا فعَّالاً في التدبيرِ الخلاصِيّ وأُمًّا يتجسّدُ من خِلالها الله الابنُ ليُحَقّقَ الخَلاصَ للبَشرِ أجمعين.

يُرسلُ اللهُ ملاكه جبرائيل إلى مدينةِ النّاصرةِ لإبلاغِ الرسالةِ دونَ أن يكون لهُ أيُّ دورٍ فعلِّيٍّ في البشارةِ، بلَ كان دورُه إعلانَ البشارةِ نيابةً عن اللهِ الآبِ إذ قال: "وها أنتِ تَحملين، وتلدينَ ابنًا، وتسمِّينَهُ يسوع. سيكونُ عظيمًا، وابنَ العَليِّ يُدعَى..."[٤٥]، كونُ الولدِ هو ابنُ العَليّ، يكونُ الملاكُ ناقلاً للبُشرى، وأمَّا الحَبَل فقد تَمَّ مُسبَقًا في مُخطَّط الرَّبِّ الخلاصيّ دون أيّ تدخُّل ملائكيّ أو بَشريّ، وذلك بقوةِ الرُّوح القدس: "روحٌ قُدُسٌ يَهبِطُ عليك، وقُدرةٌ من لدُنِ العَليِّ تُظلِّلُك، فسَيُدعى المولودُ قُدُّوسًا، وابنَ الله"[٤٦].

كونُ المولودِ هو ابنُ الله، لا داعي لكي يَنفُخَ ملاكٌ في درعِ مريَم، أو أن تتزوّجَ مِثلَ باقي النساءِ، وهذا ما دفعَ مريَم لتستفهِمَ لأنّها ذات عقلٍ بشريٍّ لا يستوعِبُ مفاهيمَ الله، لذلك سألت الملاك: "وكيفَ يكونُ ذاك، وأنا لا يَمَسُّني رَجُل؟"[٤٧]؛ لكنَّها عادت وآمنت بقول الملاكِ إذ قال لها: "فما على الله من مُحال"[٤٨].

أعطَت مريَمَ الجسدَ البشريّ لابنِ اللهِ دون أن تُعطيَه النسَبَ، ولكنَّها استحقّت أن تُصبحَ أُمًّا لله، لأنّ مولودها "قُدُّوسٌ وابنُ الله"[٤٩]. بالإضافةِ إلى ذلكَ، أعلَنتها الكنيسَةُ "مُسهمةً في خلاصِ الناسِ، لا إسهام أداةٍ سلبيَّةٍ فقط بيدِ الله، بل بحُرّيَّةِ إيمانِها وطاعَتِها أيضًا"[٥٠]، أي أصبَحَت علَّةَ خلاص. تكونُ مريَمُ إذًا أرفعَ شأنًا من الملاكِ ومن نساءِ العالمين لأنَّها شريكةٌ في الخلاصِ ولهَا دور فعَّال في التدبيرِ الإلهيّ، لذلك قال لها الملاك: "لا تخافي،

(٤٢) سورة آل عمران: آية ٦٤.
(٤٣) سورة آل عمران: آية ٥٢.
(٤٤) لو ١: ١- ٣.
(٤٥) لو ١: ٣١- ٣٢.
(٤٦) لو ١: ٣٥.
(٤٧) لو ١: ٣٤.
(٤٨) لو ١: ٣٧.
(٤٩) لو ١: ٣٥.
(٥٠) د. ع. ف. ك: ٨/ ٥٧.

يا مريَم، فنعمةً أَلفَيتِ عندَ الله"[٥١]، أي أَن تكوني أمًّا لله وشريكةً في التدبيرِ الخلاصيّ.

ما أَن قالَت مريَم للملاكِ: "ها أَنا أَمةُ الربّ فَليَصرْ لي ما تقول"[٥٢]، حتّى أَضحَتْ محقِّقَةً لنبوءةِ أشَعيا النَبيّ: "ها إِنَّ الصَّبيّةَ تحملُ فتَلِدَ ابنًا وتَدعو اسمَه عمَّانوئيل"[٥٣]، بانَت للعيَانِ أَنَّها هيَ التي كانت في فِكرِ اللهِ منذُ الوعدِ بالخلاصِ لآدمَ[٥٤]، لذلك أصبَحَت موضوعَ غِبطَةٍ وتطويبٍ لدى الأجيالِ[٥٥]، منَ سفرِ التكوينِ في العهدِ القديمِ حتّى أبدِ الآبدين.

نستَنتِجُ أنَّ اللهَ الآبَ أرادَ إشراكَ مريمَ في تدبيرِه الخلاصيّ من خلالِ إيلادِها ابنَهُ يسوعَ المسيح دونَ تدخُلٍ بشريٍّ أو ملائكيٍّ، بل من خلالِ قدرتِه الإلهيّةِ وروحِهِ القدُّوس، لأنّها في إرادتِهِ الخلاصيَّةِ مُنذُ سفرِ التكوينِ قَبِلَت مهَمَتَها بالرغمِ من ضعفِ عقلِها البشريّ، لأنَّها مولودةٌ في النبوءةِ قبلَ وِلادتِها الجسديَّةِ، ومخلوقَةٌ لتكونَ أَمَةَ الرَبِّ وخادمةً للتدبيرِ الخلاصيّ.

ذَكَرَ لوقا مريَمَ في إنجيلِه لأنَّها شخصيَّة فعَّالةٌ في أحداثِ الخلاصِ التي جَرَت في أيّامِه، وجَعَلتهُ يؤمِنُ أنّ يسوعَ هو ابنُ اللهِ ومسيحُهُ[٥٦]، وأَنَّ مريَمَ أُمُّ يسوعَ. لم تكن غايةُ لوقا نسبَ يسوعَ إلى مريم، لأنَّهُ ابنُ اللهِ ولا يحتاجُ إلى نسبٍ بشريٍّ، بل كانت غايتُهُ الإعلانُ أنَّ مريَمَ هي أُمُّ المسيحِ الربّ لكَي يؤمنَ العالَم أنَّ يسوعَ المسيح ابنُ اللهِ تجسّدَ من مريَمَ العذراءِ ليُخلِّصَ العالَم.

خلاصة

يُكرّمُ المسلمُ مريَمَ كونَها المرأةَ الوحيدةَ التي ذُكِرَ اسمُها في القرآن؛ زد على ذلك أنّ القرآنُ خَصَّها بسورةٍ باسمها لأنَّها أفضلُ نساءِ العالمينَ. لكن لا يستطيعُ المسلمُ تكريمَها أسوةً بالمسيحيّ الذي يؤمنُ بها أمًّا لله، وكونُها شريكةً في الفداءِ نسبةً إلى الدورِ الفعَّالِ الذي قامت بِه بتجسُّدِ ابنِها يسوعَ المسيح فادي العالمين، وإن تساوى مع المسيحيّ يكون قد غَلا في دينِه.

يعتبِرُها المسلمُ أمًّا للنبيّ عيسى الذي أتى بني إسرائيل رسولاً يعبدُ اللهَ ويقيم الصلاة والزكاة، وينسُبُها إلى آل عمران لصَلاحِها. بينما ينسُبُها المسيحيُّ إلى عَشيرةِ داودَ لكي يَستَحِقّ آل عمران الخلاصَ بابنها يسوع المسيح، الإله الذي تجسّدَ ليحقّقَ النبوءاتِ التي كانت لهارونَ وموسى. وإن اعترفَ المسلمُ بذلك فقد كفرَ باللهِ وبدينِه.

نتيجةً لكلّ ما تقَدَّم، لا يستطيعُ المؤمنُ المسيحيُّ نكرانَ إيمانِه بمريمَ أُمِّ اللهِ، واعتبارَها امرأةً منَ الصُلاّح فَقَط لأنَّها شريكةٌ في فدائه. ولا يستطيعُ المؤمنُ المسلمُ الاعترافَ بذلك، وإلاّ يُنكِرُ إيمانَهُ باللهِ وبقرآنه، لأنّه لا يجوزُ الإشراكُ باللهِ، وذلك مُنزَل في القرآن. بالتالي يُصبِحُ عيدُ البشارةِ عيدًا وطنيًّا يلتقي به المسلمُ والمسيحيُّ حولَ مريَمَ كشخصيَّةٍ ذُكِرت في التوراة والإنجيل والقرآن، وكُرِّمت في الديانات الثلاث على مرِّ العصورِ والقرونِ، وأضحَت نقطةَ تلاقٍ بين المسيحيّةِ والإسلامِ في عيشهما المشترك بدلَ التناحُرِ والاقتتالِ.

لكنَّها ستبقى أُمًّا للهِ الابنِ، وشريكةً في الفداءِ والخلاصِ، وستبقى أيديها مفتوحة لكلِّ مؤمنٍ أنكَرَها يومًا لأنَّها قالت "نعم" للربّ ولن تُنكِرَ ذاتَها. إنَّها الأُمُّ

(٥١) لو ١: ٣٠.
(٥٢) لو ١: ٣٨.
(٥٣) أش ٧: ١٤.
(٥٤) تك ٣: ١٥.
(٥٥) لو ١: ٤٨.
(٥٦) لو ٣: ٣٨. ولو ٢: ١١.

التي قبلَت أن يجوزَ السيفُ قلبَها يومَ ماتَ ابنُها على الصليب كَي لا يموتَ مؤمنٌ مسيحيٌّ من بَعدِه. وأنا كلّيُّ الإيمان بكِ يا مريَم، يا معونةَ النصارى، وفي ظلِّ حمايتكِ ألتجئُ لأنّكِ أُمُّ ربيّ يسوع المسيح الذي انتصرَ بصليبِهِ على قوى العالمِ والموتِ.

المراجع

ابن كثير، تفسير ابن كثير = **ابن كثير** إسماعيل عماد الدين أبي الفداء بن عُمَر، ٢٠٠٧. تفسير ابن كثير، ط جديدة، بيروت: الكتاب العالمي للنشر.

ابن كثير، قصص الأنبياء = **سروجي (ال)** زياد، (إعتناء)، ٢٠٠٣. قصص الأنبياء، ط ثانية، بيروت: دار صادر.

ابن هشام، السيرة النبويّة = **سقّا (ال)** مصطفى، **الأبياري** إبراهيم و**شبلي** عبد الحفيظ (تحقيق وضبط وشرح)، ٢٠٠٤. السيرة النبويّة لابن هشام، بيروت: دار الكتب العلمية.

إونغليون، الكتاب المقدّس، العهد الجديد: ١٩٩٢. لبنان: جامعة الروح القدس– الكسليك.

زحيليّ (ال) وهبة وآخرون، ٢٠٠٤. الموسوعة القرآنيّة الميسّرة، ط ثالثة، دمشق وبيروت: دار الفكر ودار الفكر المعاصر.

الطبري، جامع البيان = **طبري (ال)** أبي جعفر محمّد بن جرير، ٢٠٠١. جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن، بيروت: دار الفكر.

فاخوري (ال) حنّا (الأب) أشرف على الترجمة، ٢٠٠٤. المجمع الفاتيكانيّ الثّاني، دساتير وقرارات وبيانات، ط ثانية، جونية: منشورات المكتبة البولسيّة.

الكتابُ المقدّس، ١٩٩٧. الكتاب المقدّس، أنا الألف والياء، ط رابعة، بيروت: دار المشرق.

نولدكه تيودور، ٢٠٠٤. تاريخ القرآن، ط أولى، بيروت: كونراد– أدناور.

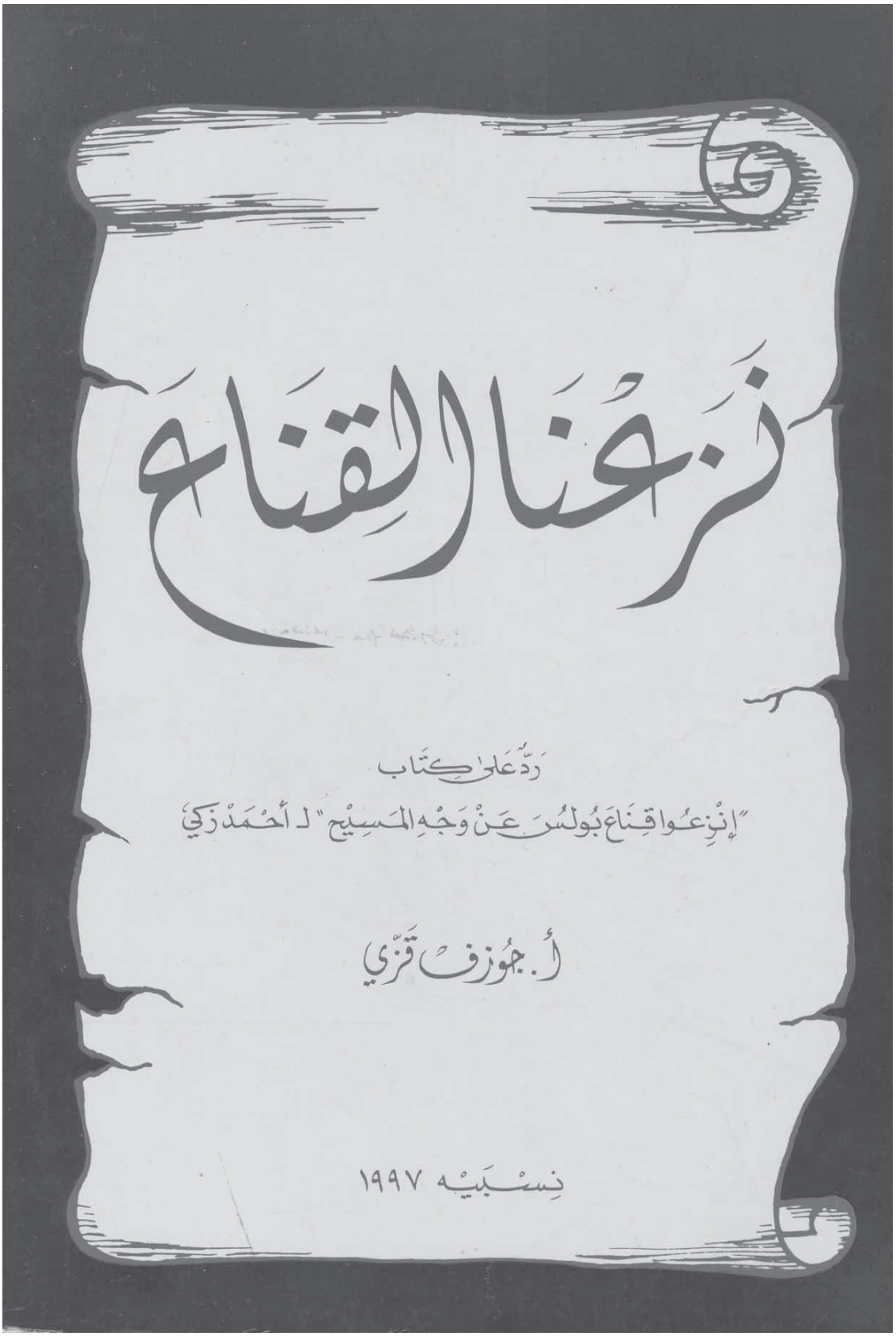
نزعوا القناع
ردٌّ على كتاب
"إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح" لـ أحمد زكي
أ. جوزف قزي
نسبيه ١٩٩٧

بولس يعرف أقوالَ يسوع وينقلُها بأمانة
مقارنة بين كورنتوس الأولى والأناجيل

الأب أيوب شهوان
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس
جامعة الروح القدس، الكسليك

مقدّمة

مَن كان ملمًّا بما في رسائل القدّيس بولس من مخزون تعليميّ، عقائديّ ولاهوتيّ وخُلُقيّ وليتورجيّ، يعلم عِلْمَ اليقين كم أنّها على تواصل وتجانس مع أقوالَ الربّ يسوع وتعاليمه، التي إليها استند بولس في كتاباته وفي كرازته وعيشه[1]. نقول هذا للردّ على الادّعاء بأنّ بولس هو مؤسّس المسيحيّة، عِلْمًا أنّه أسّس حياتَه وتعليمَه على المؤسِّس الوحيد للكنيسة، على الربّ يسوع وعلى تعاليمه، لذلك فإنّ إنجيل بولس هو إنجيل سيّده بالذات[2]؛ فكيف يمكن أن يدّعي مَن يدّعي من اليهود والمسلمين بأنّ بولس هو مؤسّس المسيحيّة أو الكنيسة؟!! لا إثبات وثائقيًّا ولا تاريخيًّا ولا فعليًّا لذلك، الأمر الذي يُبقي هذا الادّعاء كلامًا دون برهان، ولا يصلح إلاّ لأن يُطرَحَ خارجًا!

١ – آراء تدحض الادّعاء أنّ بولس هو مؤسّس المسيحيّة

هناك كَمٌّ كبير من البحوث التي تُثبِتُ أنّ يسوع هو مصدر تفكير بولس وتعليمه، وليس العكس، نكتفي بعرض بعض النماذج منها، وهي التالية:

– يقول **جورجيو يُوسّا**[3]: "هناك تأكيدات تتعلّق بشخص يسوع، كانت تُعزَى سابقًا إلى بولس على أساس أصله من الشتات اليونانيّ، قد نشأت بالفعل قبله، ليس فقط في جماعة أنطاكية، بل أيضًا في جماعة أورشليم، وفي المكوِّن الآرامي نفسه لتلك الجماعة [...]. بولس بالتالي هو، ليس في مستهلِّ تطوّرٍ لاهوتيٍّ بل في نهايته، تطوُّرٍ كان في الواقع سريعًا بشكل لا يُصَدَّق"[4].

– ويشير **راينر رِيْسِنر**[5]، إلى أنّ تعاليم بولس "لم تكن ثمرةَ تفكيرِه الشخصيّ، بل ثمرة التقليد، والجماعة الأولى التي التأمت حول بطرس الرسول في أورشليم"، على نقيض أطروحة القرن التاسع عشر التي ترى في بولس المؤسّس الحقيقيّ للمسيحيّة.

(1) Cf. Tom Wright, *Che cosa veramente ha detto Paolo*?, Torino, Claudiana Editrice, 1999.

(2) A. M. Hunter, *L'Evangelo secondo Paolo, Torino*, Claudiana Editrice, 1968.

(٣) جورجيو يُوسّا (Giorgio Jossa) أستاذ مادّة تاريخ المسيحيّة وتاريخ الكنيسة القديمة في جامعة نابولي وفي الكلّيّة الحبريّة اللاهوتيّة في إيطاليا الجنوبيّة.

(4) G. Jossa, *Il cristianesimo ha tradito Gesù*?, Carocci 2008, p. 115.

(٥) راينر رِيسْنر (Rainer Riesner) أستاذ مادّة العهد الجديد في جامعة دورتموند (Dortmund).

– واضح جدًّا حكمُ **هاينريش شْلِير**[٦] الذي يقول: "بعد خمس سنوات من موت يسوع كانت هناك في سوريا صياغة لوقائع الخلاص، أي موت يسوع وقيامته، صياغة ثابتة نسبيًّا في اليونانيّة، وهذا هو بالضبط ما يستعيده بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس، التي هي في أساس كلٍّ من رسائل القدّيس بولس وكلِّ مصدر إنجيليّ مكتوب"[٧].

– في هذا السياق يوضح **إريك نُوفْكِي**[٨] ما يلي: "بدءًا من الناصريّ وصولاً إلى الرسل وإلى تلاميذهم، تمّ بناء الإيمان الجديد بيسوع تدريجيًّا باعتباره دينًا جديدًا بالتمام مقابل الديانة اليهوديّة". في الواقع، كان يسوع نفسه قد جعل جوانب مختلفة من الإيمان العبريّ جذريّةً، وخصوصًا انتظار ملكوت الله، الذي كان يتمّ التبشير به كأمرٍ واقعٍ في الحاضر [...]. كان يسوع معلِّمًا، ولكن تمَّ الاعتراف به أيضًا على أنّه المسيح المنتظر، على الرغم من أنّ تبشيره وموته على الصليب كان لا بدّ من شرحهما في كثير من الأحيان على نقيض التقليد المسيحانيّ اليهوديّ الوسيط. بعيدًا إذاً يخون بولسُ يسوعَ نبيَّ الملكوت، كان تلميذًا مُخْلِصًا له وكارزًا لا يكلّ بما فعله الله من خلاله"[٩].

٢ – مقارنة بين الأولى إلى الكورنثيّين وأقوال يسوع

من أجل إثبات ما نقول، سنُعْطِي بعض الأمثلة حول موضوعات مختارة بالتدرّج فصلاً فصلاً من رسالة القدّيس بولس **الأولى إلى الكورنثيّين**، ونقابلها بأقوال مماثلة واردة في **الأناجيل**:

أقوال بولس في الأولى إلى الكورنثيّين هي النقل	أقوال يسوع التي حفظتْها الأناجيل هي الأصل
حكمة الحكماء **١ كو ١: ٢٧**: "ولكِن ما كانَ في العالَم مِن حَماقة فذاكَ ما اختارَه اللهُ لِيُخزِيَ الحُكَماء، وما كانَ في العالَم مِن ضُعْف فذاكَ ما اختارَه اللهُ لِيُخزِيَ ما كانَ قَوِيًّا"؛	**مت ١١: ٢٥**: "في ذلكَ الوقتِ تكلَّمَ يسوعُ فقال: "أَحمَدُكَ يا أَبَتِ، رَبَّ السَّمَواتِ والأَرض، على أَنَّكَ أَخفَيتَ هذه الأَشياءَ على الحُكَماءِ والأَذكِياء، وكَشفتَها لِلصِّغار"؛

(٦) هاينريش شْلِير (Heinrich Schlier) عالِمٌ كبير في عِلْم الكتاب المقدّس، شارك في صياغة الترجمة الرسميّة للكتاب المقدّس.

(7) H. Schlier, *Il tempo della Chiesa. Saggi esegetici*, EDB 1981, p. 345-346.

(٨) إريك نُوفْكِي (Eric Noffke) رئيس جمعيّة الكتاب المقدّس في إيطاليا.

(9) E. Noffke, *Protestantesimo* n.67, Claudiana Editrice 2012, p. 125-141.

النار المطهِّرة **١ كو ٣: ١٣:** "سيَظهَرُ عَمَلُ كُلِّ واحِد، فيَومُ اللهِّ سيُعلِنُه، لأَنَّه في النَّارِ سيُكشَفُ ذلِك اليَوم، وهذِه النَّارُ ستَمتَحِنُ قيمةَ عَمَلِ كُلِّ واحِد"؛	**مت ٣: ١١-١٢:** "أَنا أُعمِّدُكم في الماءِ مِن أَجْلِ التَّوبة، وأَمَّا الآتي بَعدِي فهو أَقْوى مِنِّي، مَن لَستُ أَهْلاً لأَن أَخلَعَ نَعْلَيْه. إِنَّه سيُعَمِّدُكم في الرُّوحِ القُدُسِ والنَّار. بيَدِه المِذْرى يُنقِّي بَيْدَرَه فيَجمَعُ قَمحَه في الأَهراء، وأَمَّا التِّبنُ فيُحرِقُه بنارٍ لا تُطْفأ"؛
التلميح إلى الوكيل الأمين والعاقل **١ كو ٤: ١-٢:** "فلْيَعُدَّنا النَّاسُ خَدَمًا لِلمسيح ووُكَلاءَ أَسرارِ الله، وما يُطلَبُ آخِرَ الأَمرِ مِنَ الوُكَلاءِ أَن يَكونَ كُلٌّ مِنهُم أَمينًا"؛	**لو ١٢: ٤٢-٤٦:** "فقالَ الرَبّ: مَن تُراهُ الوَكيلَ الأَمينَ العاقِلَ الَّذي يُقيمُه سَيِّدُه على خَدَمِه لِيُعطِيَهم وَجبَتَهُم مِنَ الطَّعامِ في وَقْتِها؟ طوبى لِذلِكَ الخادِمِ الَّذي إِذا جاءَ سَيِّدُه وَجَدَه مُنصَرِفًا إِلى عَمَلِه هذا. الحَقَّ أَقولُ لَكُم إِنَّهُ يُقيمُه على جَميعِ أَموالِه. ولكِن إِذا قالَ ذَلِكَ الخادِمُ في قَلْبِه: إِنَّ سَيِّدي يُبطِئُ في مَجيئِه، وأَخَذَ يَضرِبُ الخَدَمَ والخادِمات، ويأكُلُ ويَشرَبُ ويَسكَر، فيَأتي سَيِّدُ ذلِكَ الخادِمِ في يومٍ لا يَتَوقَّعُه وساعَةٍ لا يَعلَمُها، فيَفصِلُه ويَجزيه جَزاءَ الكافِرين"؛
عدم الدينونة **١ كو ٤: ٥:** "فلا تَدينوا أَحَدًا قَبْلَ الأَوان، قَبلَ أَن يَأتِيَ الرَّبّ، فهو الَّذي يُنيرُ خَفايا الظُّلُمات ويَكشِفُ عن نِيَّاتِ القُلوب، وعِندَئِذٍ يَنالُ كُلُّ واحِدٍ مِنَ اللهِ ما يَعودُ علَيه مِنَ الثَّناء"؛	**مت ٧: ١-٢:** "لا تَدينوا لِئَلاَّ تُدانوا؛ فكَما تَدينونَ تُدانون، ويُكالُ لكُم بِما تَكيلون"؛

عدم إخفاء شيء **١ كو ٤: ٥**: "... الرَّبّ هو الَّذي يُنيرُ خَفايا الظُّلُمات ويَكشِفُ عن نِيَّاتِ القُلوب..." ؛	**لو ١٢: ٢-٣**: "فما مِن مَستورٍ إِلاَّ سَيُكشَف، وَلا مِن مَكتومٍ إِلاَّ سَيُعلَم؛ فكُلُّ ما قُلتُموه في الظُّلُمات سيُسمَعُ في وضَحِ النَّهار، وما قُلتُموه في المخابِئِ هَمْسًا في الأُذُن سَيُنادى بِه على السُّطوح"؛
أيّ شيء لك لم تحصل عليه؟ **١ كو ٤: ٧**: "فمَنِ الَّذي يُمَيِّزُكَ؟ وأَيُّ شَيءٍ لَكَ لم تَنَلْه؟ فإِن كُنتَ قد نِلْتَه، فلِمَ تَفتَخِرُ كأَنَّكَ لم تَنَلْه؟"؛	**يو ٣: ٢٧**: "أَجابَ يوحَنَّا: لَيسَ لأَحدٍ أَن يَأَخُذَ شَيئًا لم يُعطَه مِنَ السَّماء"؛
متّحدون باسم الربّ يسوع **١ كو ٥: ٤**: "فبِاسمِ الرَّبِّ يَسوع، وفي أَثْناءِ اجتِماعٍ لكُم ولِروحي، مع قُدرَةِ رَبِّنا يَسوع"؛	**مت ١٨: ٢٠**: "فَحَيثُما اجتَمَعَ اثنانِ أَو ثلاثةٌ بِاسمِي، كُنتُ هُناكَ بَينَهم"؛
المسيح حملٌ مذبوح **١ كو ٥: ٧**: "... فقَد ذُبِحَ حَمَلُ فِصْحِنا، وهو المسيح"؛	**يو ١: ٢٩**: "وفي الغَد رأَى يسوعَ آتِيًا نَحوَه فقال: "هُوَذا حَمَلُ اللهِ الَّذي يَرفَعُ خَطيئَةَ العالَم"؛

عدم مضاعفة الصراع **١ كو ٦: ٧-٨:** "وفي كُلِّ حال فإنَّه مِنَ الخَسارةِ أَن يَكونَ بَينَكُم دَعاوٍ؛ فلِمَ لا تُفَضِّلونَ احتِمالَ الظُّلْم؟ ولِمَ لا تُفَضِّلونَ احتِمالَ السَّلْب؟ ٨ ولَكِن، أَنتُمُ الَّذينَ يَظلِمونَ ويَسلِبون، لا بل تَفعَلونَ ذلك بِإِخوَتِكُم"؛	**مت ٥: ٢٣-٢٥، ٣٨-٤٢:** "٢٣ فإذا كُنْتَ تُقَرِّبُ قُربانَكَ إِلى المَذبَح وذكَرتَ هُناكَ أَنَّ لأَخيكَ علَيكَ شيئًا، فدَعْ قُربانَكَ هُناكَ عِندَ المَذبح، واذهَبْ أَوَّلاً فصالِحْ أَخاك، ثُمَّ عُدْ فقَرِّبْ قُربانَك. سارِعْ إِلى إِرضاءِ خَصمِكَ ما دُمْتَ معَه في الطَّريق، لِئَلاَّ يُسلِمَكَ الخَصمُ إِلى القاضي والقاضي إِلى الشُّرطِيّ، فتُلْقى في السِّجْن"؛ **مت ٥: ٣٨-٤٢:** "سَمِعتُم أَنَّه قيل: العَينُ بِالعَين والسِّنُّ بِالسِّنّ، أَمَّا أَنا فأَقولُ لكم: لا تُقاوِموا الشِّرِّير، بَل مَن لَطَمَكَ على خَدِّكَ الأَيْمَن فاعرِضْ لهُ الآخَر. ومَن أَرادَ أَن يُحاكِمَكَ لِيَأخُذَ قَميصَكَ، فاترُكْ لَه رِداءَكَ أَيضًا. ومَن سَخَّرَكَ أَن تَسيرَ معه ميلاً واحِداً. فسِرْ معَه ميلَيْن. مَن سأَلَكَ فأَعطِه، ومَن استَقرَضَكَ فلا تُعرِضْ عنه"؛
مغسولون ومُبرَّرون **١ كو ٦: ١١:** "وعلى ذلِكَ كُنتُم أَو قلمَّا كانَ بَعضُكُم فغُسِلتُم، بل قُدِّستُم، بل بُرِّرتُم بِاسمِ الرَّبِّ يسوعَ المسيح وبروحِ إِلهِنا"؛	**يو ٣: ٥:** "أَجابَ يسوع: "الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكَ: ما مِن أَحَدٍ يُمكِنَه أَن يَدخُلَ مَلَكوتَ الله إِلاَّ إِذا وُلِدَ مِنَ الماءِ والرُّوح"؛

العطايا التي تمّ تلقّيها **١ كو ٧: ٧**: "فإِنِّي أَوَدُّ لو كانَ جَميعُ النَّاسِ مِثْلي. وَلكِنَّ كُلَّ إِنسانٍ يَنالُ مِنَ اللهِ مَوهِبَتَه الخاصَّة، فبَعضُهُم هذه وبعضُهُم"؛	**مت ١٩: ١٢**: "فهُناكَ خِصْيانٌ وُلِدوا مِن بُطونِ أُمَّهاتِهم على هذِه الحال، وهُناكَ خِصْيانٌ خَصاهُمُ النَّاس، وهُناك خِصْيانٌ خَصَوا أَنفُسَهم مِن أَجلِ مَلكوتِ السَّمَوات. فَمَنِ استَطاعَ أَن يَفهَمَ فَليَفهَمْ"؛
يستند بولس صراحةً إلى الربّ **١ كو ٧: ١٠**: "وأَمَّا المُتزَوِّجونَ فأُوصيهم، ولَستُ أَنا المُوصي، بلِ الرَّبّ، بِأَن لا تُفارِقَ المَرأَةُ زَوجَها"؛	**مت ٥: ٣٢**: "أَمَّا أَنا فأَقولُ لكم: مَن طلَّقَ امرأَتَه، إِلاَّ في حالةِ الفَحْشاء عرَّضَها لِلزِّنى، ومَن تَزَوَّجَ مُطَلَّقَةً فقَد زَنى"؛ **مت ١٩: ٩**: "أَمَّا أَنا فأَقولُ لكم: مَن طَلَّقَ امرأَتَه، إِلاَّ لفحشاء، وتَزوَّجَ غيرَها فقد زَنى"؛
عدم تشكيك المؤمن إخوته **١ كو ٨: ١٢**: "وأَمَّا الآخَرونَ فأَقولُ لَهم أَنا لا الرَّبّ: إِذا كانَ لأَخٍ امرَأَةٌ غَيرُ مُؤمِنةٍ ارتَضَت أَن تُساكِنَه، فلا يَتَخَلَّ عنها، "؛	**مت ١٨: ٥-٦**: "ومَن قَبِلَ طِفْلاً مِثلَه إِكْرامًا لاسمي، فقَد قَبِلَني أَنا. وأَمَّا الذي يَكونُ حجَرَ عَثرَةٍ لأَحدِ هؤلاءِ الصِّغارِ المؤمِنينَ بي فَأَولى بِه أَن تُعلَّقَ الرَّحى في عُنُقِه ويُلقى في عُرْضِ البَحْر"؛
استقبال النساء **١ كو ٩: ٥**: "يَمنَعْ أَحدُكُما الآخَر إِلاَّ على اتِّفاقٍ بَينكُما وإِلى حِين كَي تَتفَرَّغا لِلصَّلاة، ثُمَّ عودا إِلى الحَياةِ الزَّوجِيَّة لِئَلاَّ يُجَرِّبَكُما الشَّيطانُ لِقِلَّةِ عِفَّتِكُما"؛	**لو ٨: ٢-٣**: "ونِسوَةٌ أُبرِئْنَ مِنْ أَرواحٍ خَبيثَةٍ وأَمراض، وهُنَّ مَريَمُ المَعروفَةُ بالمِجدَلِيَّة، وكانَ قد خَرَجَ مِنها سَبعَةُ شَياطين، وحِنَّةُ امرَأَةُ كوزى خازِنِ هيرودُس، وسَوسَنَة، وغيرُهُنَّ كَثيراتٌ كُنَّ يُساعِدْنَهُم بِأَموالِهِنَّ"؛

العامل للإنجيل يستحقّ طعامه **١ كو ٩: ١٨**: "إذًا فأيُّ أَجْرٍ لي؟ هو أنّي، حين أُبَشّر، أَمنحُ الإنجيلَ مَجّانًا، حتّى لا أَستَعملَ سلطاني في الإنجيل"؛	**مت ١٠: ٩-١٠** : "لا تَقتَنوا نُقودًا مِن ذَهَبٍ ولا مِن فِضَّةٍ ولا مِن نُحاسٍ في زَنانيرِكم، ولا مِزوَدًا لِلطَّريق ولا قَميصَيْن ولا حِذاءً ولا عَصًا، لأَنَّ العامِلَ يَستَحِقُّ طَعامَه"؛
ينقل بولس (رواية) تأسيس الإفخارستيّا "تلقّيتُ من الربّ ما نقلتُه إليكم" **١ كو ١١: ٢٣-٢٦**: ٢٣: فإِنِّي تَسَلَّمتُ مِنَ الرَّبِّ ما سَلَّمتُه إِلَيكُم، وهو أَنَّ الرَّبَّ يسوع في اللَّيلَةِ الَّتي أسلِمَ فيها أَخَذَ خُبْزًا وشَكَرَ، ثُمَّ كَسَرَه وقال :"هذا هو جَسَدي، إِنَّه مِن أَجْلِكُم. اِصنَعوا هذا لِذِكْري". وصَنَعَ مِثلَ ذلكَ على الكَأسِ بَعدَ العَشاءِ وقال: "هذه الكَأسُ هي العَهْدُ الجَديدُ بِدَمي. كُلَّمَا شَرِبتُم فاصنَعوه لِذِكْري". فإِنَّكُم كُلَّمَا أَكَلتُم هَذا الخُبْز وشَرِبتُم هذِه الكَأس تُعلِنونَ مَوتَ الرَّبِّ إلى أن يَأتي".	**مر ١٤: ٢٢-٢٥**: "وبَينما هم يَأكُلون، أَخذَ خُبزًا وبارَكَ، ثُمَّ كَسَرَه وناوَلَهم وقال: "خُذوا، هذا هُوَ جَسَدي". ثُمَّ أَخَذَ كأسًا وشَكَرَ وناوَلَهم، فشَرِبوا مِنها كُلُّهم، وقالَ لَهم: "هذا هو دَمي دَمُ العَهد يُراقُ مِن أَجلِ جَماعَةِ النَّاس. الحَقَّ أَقولُ لَكم:لن أَشرَبَ بَعدَ الآنِ مِن عَصيرِ الكَرمَة، حتى ذلك اليَومِ الَّذي فيه أَشرَبُه جديدًا في مَلَكوتِ الله"؛ **لو ٢٢: ١٤-٢٠**: فلمَّا أَتَتِ السَّاعة جلَسَ هو وَالرُّسُلُ لِلطَّعام. فقالَ لَهم: "اِشتَهَيتُ شَهْوَةً شديدةً أَن آكُلَ هذا الفِصْحَ مَعَكم قَبلَ أَن أَتألَّم. فإِنِّي أَقولُ لَكم: لا آكُلُه بعدَ اليَومِ حتَّى يَتِمَّ في مَلَكوتِ الله". ثُمَّ تَناوَلَ كأسًا وشَكَرَ وقال: "خُذوا هذا واقتَسِموهُ بَينكم، فإِنِّي أَقولُ لَكم: لن أَشرَبَ بَعدَ اليَومِ مِن عَصيرِ الكَرمَةِ حتَّى يَأتيَ مَلَكوتُ الله". ثُمَّ أَخَذَ خُبْزًا وشَكَرَ وكَسَرَه وناوَلَهُم إِيَّاهُ وقال: "هذا هو جَسدي يُبذَلُ مِن أَجلِكُم. إِصنَعوا هذا لِذِكْري". وصنَعَ مِثلَ ذلكَ على الكأسِ بَعدَ العَشاءِ فقال: "هذِه الكَأسُ هي العَهدُ الجَديدُ بِدمي الَّذي يُراقُ مِن أَجلِكم"؛

الظهور بمظهر الحاذق والناضج **١ كو ١٤: ٢٠**: "لا تكونوا أَيُّها الإِخوةُ أَطفالاً في الرَّأي، بل تَشَبَّهوا بالأَطفالِ في الشَّرّ، وكونوا راشدينَ في الرَّأي"؛	**مت ١٠: ١٦**: "هاءَنذا أُرسِلُكم كالخِرافِ بَينَ الذِّئاب: فكونوا كالحَيَّاتِ حاذِقين وكالحَمامِ ساذِجين"؛
نقْلُ ما تمّ تلقّيه **١ كو ١٥: ١١**: "أكنت أنا أم كانوا هُمْ، هذا ما نبشّر به"؛	**لو ١: ٢**: "كما نَقَلَها إِلَينا الَّذينَ كانوا مُنذُ البَدءِ شُهودَ عِيانٍ لِلكَلِمَة، ثُمَّ صاروا عامِلينَ لها"؛
إذا ما ماتت الحبّة **١ كو ١٥: ٣٦**: "يا لَكَ مِن غَبِيّ! ما تَزرَعُه أَنتَ لا يَحْيا إِلاَّ إِذا مات"؛	**يو ١٢: ٢٤**: "الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: إِنَّ حَبَّةَ الحِنطَةِ الَّتي تَقَعُ في الأَرض إِن لَم تَمُتْ تَبقَ وَحدَها. وإِذا ماتَت، أَخرَجَت ثَمَرًا كثيرًا. ٢٥ مَن أَحَبَّ حياتَهُ فقَدَها ومَن رَغِبَ عنها في هذا العالَم حَفِظَها لِلحَياةِ الأَبَدِيَّة"؛
اللحم والدم **١ كو ١٥: ٥**: "أَقولُ لَكم، أَيُّها الإِخوَة، إِنَّ اللَّحْمَ والدَّمَ لا يَسعُهما أَن يَرِثا مَلَكوتَ الله، ولا يَسَعُ الفَسادَ أَن يَرِثَ ما لَيسَ بِفَساد"؛	**مت ١٦: ١٧**: "فأَجابَه يسوع: "طوبى لَكَ يا سِمعانَ بْنَ يونا، فلَيسَ اللَّحمُ والدَّمُ كشَفا لكَ هذا، بل أَبي الَّذي في السَّمَوات"؛ **يو ٣: ٥-٦**: "أَجابَ يسوع: "الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكَ: ما مِن أَحَدٍ يُمكِنَه أَن يَدخُلَ مَلَكوتَ الله إِلاَّ إِذا وُلِدَ مِنَ الماءِ والرُّوح. فَمَولودُ الجَسدِ يَكونُ جَسدًا ومَولودُ الرُّوحِ يَكونُ روحًا"؛

بوق الدينونة **١ كو ١٥: ٥٢:** "في لَحْظَةٍ وطَرْفةِ عَين، عِندَ النَّفْخِ في البُوقِ الأَخير. لأَنَّه سيُنفَخُ في البُوق، فيَقومُ الأَمواتُ غَيرَ فاسِدين ونَحنُ نَتَبدَّلُ"؛	**مت ٢٤: ٣١:** "ويُرسِلُ ملائِكَتَه ومَعَهُمُ البُوقُ الكَبير، فيَجمَعونَ الَّذينَ اختارَهم مِن جِهاتِ الرِّياحِ الأَربَع، مِن أَطرافِ السَّمَواتِ إِلى أَطرافِها الأُخرى"؛
اليوم الأوّل من الأسبوع، يوم الربّ **١ كو ١٦: ٢:** "أَن يَضَعَ كُلُّ مِنكُم في أَوَّلِ يَومٍ مِنَ كُلِّ أُسبوعٍ إِلى جانِبٍ ما تَيَسَّرَ لَه ادِّخارُه..."؛	**مت ٢٨: ١:** "ولمَّا انقَضى السَّبتُ وطَلَعَ فَجرُ يَومِ الأَحد، جاءَت مَريمُ المِجدَلِيَّة ومَريمُ الأُخرى تَنظُرانِ القَبْر".

٣ – نستنتج

استنادًا إلى المقابلات التي أوردناها بين تعليم القدّيس بولس في رسالته **الأولى إلى الكورنثيّين** وبين **أقوال يسوع في الأناجيل**، يمكننا التأكيد أنّ يسوع هو مصدر تعليم بولس وهو ملهمه، وأنّ الادّعاء بأنّ بولس هو مؤسّس المسيحيّة لا أساس علميًّا له. لكن قد لا نعجب من هذا الادّعاء إذا علمنا أنْ "لا وجود للكنيسة، بمعناها اللاهوتيّ الخلاصيّ، في القرآن، ولا اللفظة نفسُها موجودة، إلاّ لفظة "بيعة" مرّة واحدة بصيغة الجمع "بِيَع"... هذه الكنيسة، بمفهومها اللاهوتيّ، يجهلها الإسلام جهلاً تامًّا. وهي غير موجودة فيه، إطلاقًا... هذه الكنيسة هي من تأسيس المسيح نفسه. والمسيح أسّس كنيسة، ولم يؤسّس إلاّ كنيسة..."[١٠].

وينقل جوزف قزّي الموقف السلبيّ جدًّا من الكنيسة، الوارد في مؤلّف أحمد زكي، **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**، وهو التالي:

"الكنيسة هذه هي التي بدّلت وحرّفت دِينَ المسيح، وهي التي ضيّعت، أو أخفت، الإنجيل الحقيقيّ المنزل على عيسى من السماء، وهي التي حدّدت العقائد...، وانتحلت، بالنتيجة، دورَ المسيح، ووضعت المسيحَ خلف ظهرها..."[١١].

إنّ رأي أحمد زكي هذا هو نتيجة طبيعيّة لرأيه في شاؤول، الذي يعتبره الخائنَ وعدوَّ المسيح الأوّل، "مؤسّسَ الكنيسة، لا المسيح، بهدف القضاء على المسيح وعلى المسيحيّة والإنجيل معًا"[١٢]؛ لقد كان هدفه "تشويهَ دين المسيح، وهدمَ معالمه"[١٣].

(١٠) جوزف قزّي، **نزعنا القناع**، نِسْبَيْه، لبنان ١٩٩٧، ص ٣٤٥.

(١١) جوزف قزّي، **المرجع ذاته**، ص ٣٤٦.

(١٢) جوزف قزّي، **المرجع ذاته**، ص ٨٧.

(١٣) أحمد زكي، **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**، توزيع دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٥، ص ٨٩.

لكنّ بولس، وعلى عكس ما يدّعيه أحمد زكي، يؤكّد أنّه خادم المسيح، يتحمّل المشقّات والضيقات والاضطهاد من أجله؛ لنقرأ ما هو حازم وصريح وواضح في هذا المجال:

"فمَن يَفصِلُنا عن مَحبَّةِ المسيح؟ أَشِدَّةٌ أَم ضِيقٌ أَم اضْطِهادٌ أَم جُوعٌ أَم عُرْيٌ أَم خَطَرٌ أَم سَيْف؟ فقَد وَرَدَ في الكِتاب: "إِنَّنا مِن أَجْلِكَ نُعانِي المَوتَ طَوالَ النَّهار ونُعَدُّ غَنَمًا لِلذَّبْح" (مز ٤٤: ٢٣؛ رج آ ١٢)، ولكنَّنا في ذلِكَ كُلِّه فُزْنا فَوزًا مُبينًا، بالَّذي أَحَبَّنا. وإِنِّي واثِقٌ بِأَنَّه لا مَوتٌ ولا حَياة، ولا مَلائِكَةٌ ولا أَصحابُ رِئاسة، ولا حاضِرٌ ولا مُستَقبَل، ولا قُوَّاتٌ، ولا عُلُوٌّ ولا عُمْق، ولا خَليقَةٌ أُخْرى، بِوُسعِها أَن تَفصِلَنا عن مَحبَّةِ اللهِ الَّتي في المَسيحِ يَسوعَ رَبِّنا" (رو ٨: ٣٥–٣٩).

خاتمة

إنّ ما خطّته يُمنى القدّيس بولس في هذه الآيات وفي العديد مثيلاتها يؤكّد مرّة جديدة أنّ الرسول كان على أمانة لا مثيل لها لسيّده حتّى الموت، وأنّه اقتبس تعاليمه ووصاياه من يسوع معلّمه، واعتمدها شرعًا لحياته ولحياة الكنيسة، وهذا ما يتبيّن جليًّا من خلال المقارنة التي أدرجناها أعلاه، والتي تظهر شدّة التجانس بين ما جاء في الرسالة الأولى إلى الكورنثيّين التي اعتمدناها كنموذج للمقارنة وبين الأناجيل المقدّسة.

مراجع

الحريريّ، أبو موسى، **قسٌّ ونبيّ. بحث في نشأة الإسلام**، ١٩٧٩.

برّو العامليّ، محمّد علي، **الكتاب المقدّس في الميزان**، الدار الإسلاميّة، بيروت، لبنان ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.

زكي، أحمد، **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**، توزيع دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٥.

قزّي، جوزف، **نزعنا القناع**، نِسْبَيْه، لبنان ١٩٩٧.

هاشم، شريف محمّد، **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**، مؤسّسة الوفاء، بيروت، لبنان ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م.

HUNTER M., *L'Evangelo secondo Paolo, Torino*, Claudiana Editrice, 1968.

JOSSA G., *Il cristianesimo ha tradito Gesù*?, Carocci 2008.

NOFFKE E., *Protestantesimo*, n.67, Claudiana Editrice 2012, p. 125-141.

SCHLIER H., *Il tempo della Chiesa. Saggi esegetici*, EDB 1981.

WRIGHT Tom, *Che cosa veramente ha detto Paolo*?, Torino, Claudiana Editrice, 1999.

François **JOURDAN**

Préface de Rémi Brague

DIEU DES CHRÉTIENS, DIEU DES MUSULMANS

Des repères pour comprendre

L'œuvre

SPIRITUELLE

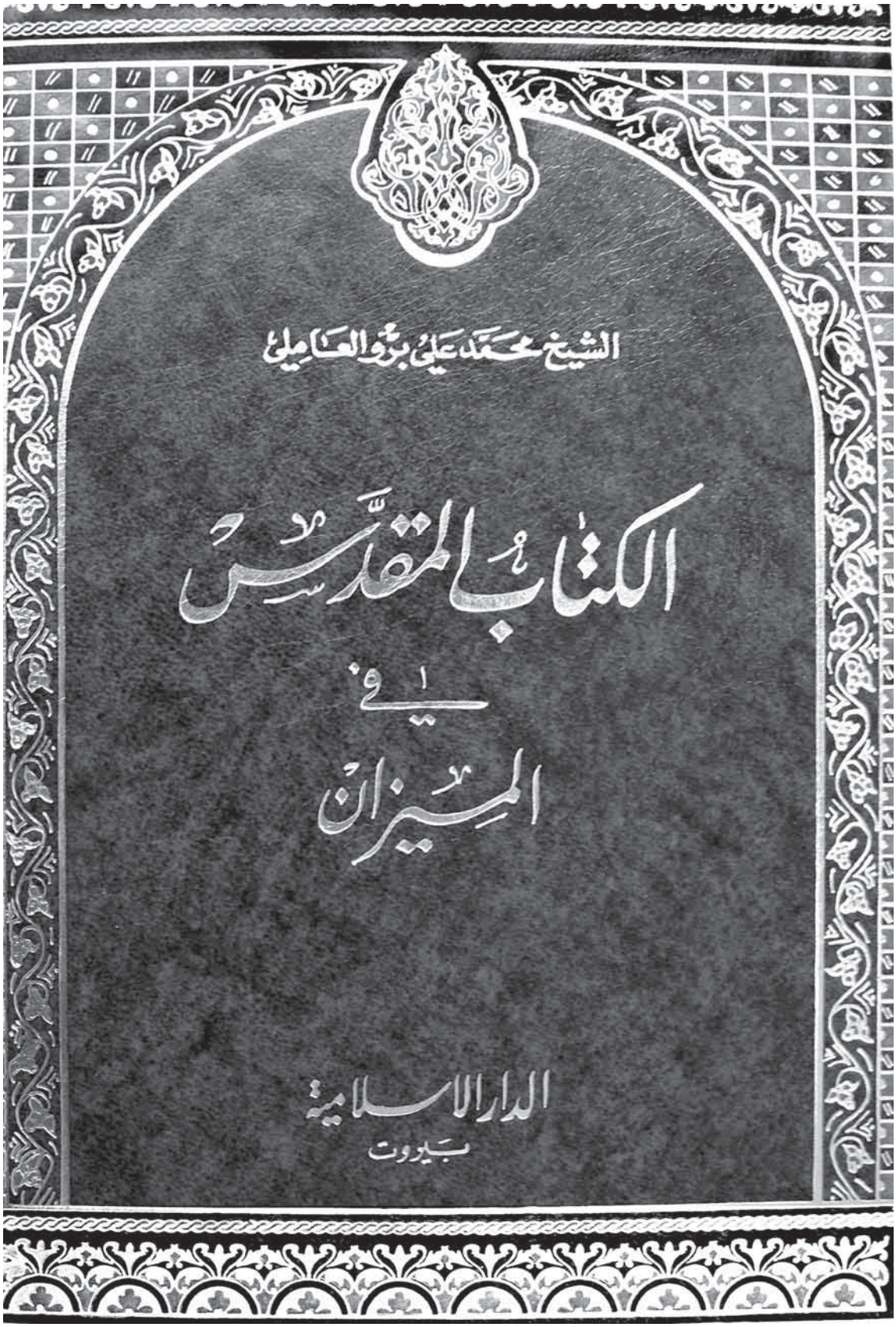
الشيخ محمد علي بن ابو العاملي
الكتاب المقدس
في
الميزان
الدار الاسلامية
بيروت